التراث والخرافة

أسطورة المعمر المغربي «أبو الدنيا»

التراث والخرافة

أسطورة المعمر المغربي «أبو الدنيا»

دراسة حديثيّة تاريخيّة رجاليّة

حسين الخشن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ التراث الخبري الإسلامي كان ولا يزال يمثل الشغل الشاغل للكثير من الناس والمادة الخصبة المولِّدة لحركة البحث العلمي في عشرات المؤسسات الدينية والثقافية في العالم الإسلامي، وهي مؤسسات ينخرط فيها عشرات آلاف الباحثين والعلماء والفقهاء.

وقد يسأل البعض: هل يستحق هذا التراث كلَّ هذه الجهود الخادمة له، أليس هذا تضييعًا وهدرًا لأثمن ما نملك وهو الأعمار؟! إلى متى يظل هذا التراث قابضًا على أنفاسنا، ومحركًا لحاضرنا ومؤثرًا في رسم مستقبلنا؟! وماذا أنتج لنا التمسك بهذا التراث غير حركات التطرف والذبح والقتل؟ أليست القطيعة معه شرطًا ضروريًا لنهوض الأمة وتقدمها، كما جرى مع سائر الأمم والشعوب؟

١ ـ بين الاستغراق في التراث والقطيعة معه

وفي المقابل، فإن لك أن تسأل أيضًا: لماذا نتخلى عن كل هذا التراث؟ أليس فيه درٌ وحِكمٌ وتجارب رائدة وعلم نافع؟ أليس العقل والمنطق يعلماننا أن نستفيد من تجارب الماضين، ونبني على ما نقتنع به من أفكارهم ونأخذ بما قام الدليل عليه من علومهم؟ فلماذا نتنصل من تراثنا برمته ونرميه خلف ظهورنا؟! أليس فيه الكثير من الثراء الروحي والغنى الفكري؟ أليس فيه مواقف عزّ ومشاهد إباء يمكنها أن تشكل مصدر إلهام؟ أليس فيه محطات مشرقة وجميلة؟ أليس فيه عظماء ورموز ومبدعون وشعراء؟! أليس فيه شخصيات فائقة الروعة والجمال وهي تعد ـ بحق ـ

شخصيات استثنائية في التاريخ البشري، وتصلح لتكون المثل الأعلى ليس للمسلم فحسب بل للبشرية جمعاء؟

لا يسع المنصف إلّا الاعتراف بوجود تلك النقاط المضيئة، وهذا معناه أن على الإنسان العاقل والباحث عن الحقيقة والحريص على أمته ومستقبلها أن لا يرمي هذا التراث خلفه أو يطوي عن ذلك كشحًا، أو يغمض عينًا.

وطبيعي أنّ القطيعة مع التراث لا تصدر بمرسوم من هذه السلطة أو تلك، كما حاولت بعض أنظمة الحكم في عالمنا الإسلامي؟ ولو صدرت كذلك، فهي لن تكون موفقة وناجعة، بل إنّها قد تدخلنا في نفقٍ مظلم ومتاهة كبيرة، بما تستولده من ردود أفعال رافضة ومتشبثة بهذا التراث، ما يؤدي إلى الكثير من التشنج والاشتباك غير المحمود، ومتى كانت قضايا الفكر والتراث تعالج بالمراسيم السلطانية؟!

ثمّ لو أردنا أن ندقق في الأمر، فهل المشكلة ـ يا ترى ـ تكمن في التراث نفسه أم تكمن في قارئ التراث والذي يتعامل معه؟

الحقيقة أنّ المشكلة لا تكمن في التراث، لأنّ التراث نصٌّ ساكن، وإنما المشكلة ـ في عمقها ـ كامنة في المتلقي للنص التراثي والذي يستسلم أمامه ويضفي عليه هالة القداسة دون أن يكلف نفسه عناء البحث ومحاولة التمييز بين صحيحه وضعيفه، بين ثابته ومتغيّره، ودون أن يدخل إلى أعماق النص، ويحاول اكتشاف أبعاده ومراميه.

فلتكن عقولنا المتبصرة هي التي تقودنا في عملية مراجعة التراث ونقده، لأنه إذا بقي التراث بكل ما فيه هو المائدة التي نقتات عليها وهو المحرك الذي يقودنا دون وعي ويمسك بزمامنا دون تفكير، فهذا يعني أننا سنبقى أمة تسكن الماضي وتعيش في غيابات التاريخ وتستنسخ تجارب الماضين وتكررها، وأما إذا أمسكنا نحن بزمام التراث ووضعناه على مشرحة البحث العلمي ودرسناه دراسة نقد وتحقيق كما ينبغي، فأخذنا بكنوزه وجواهره وثوابته، وتركنا ما فيه من أكاذيب وأضاليل ومبالغات، فهذا يعني أننا

سنحلّق به ويحلِّق بنا إلى الأمام، إلى حيث الأفق الواسع والمستقبل المشرق والعامر بالأمن والروحانية والحبّ والوئام.

وعلينا في هذا المقام أن نعي الحقيقة التالية: وهي أنّ هذا النص التراثي هو الذي يفترض به أن يخدمنا وأن يساعد في نظم أمورنا وتغيير حياتنا نحو الأفضل، ونحن إذا كان علينا أن نخدمه ففي سياق الوصول إلى هذه الغاية، وهي أن يكون خادمًا ومعينًا لنا ومغيرًا لحياتنا نحو الأفضل، لا أن نخدمه لمجرد أن ننال شرف أن نكون ممن حظي بارتباط اسمه بهذا التراث، كما يحلو للبعض ممن يتسابقون في ميدان تحصيل الإجازات الشكلية في رواية التراث. إنّنا لم نخلق لأجل خدمة الدين، بل الدين جاء لخدمتنا بصفتنا خلفاء الله على الأرض كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال ـ ٢٤].

٢ ـ أهميّة المنهج في نقد التراث

وهذا التراث لا يدرس بارتجال ولا يُنقد بانفعال، وإنما يحتاج الدارس والناقد إلى اعتماد منهج أصيل في محاكمة التراث والتعامل معه، وأعتقد أنّ مسؤولية العالِم في هذا الصدد مضاعفة جدًا، إذ يقع على عاتقه أن يعمل بجدٍ وإخلاص لتأسيس منهج علمي أصيل ورصين في كيفية التعامل مع التراث والإفادة منه، وإعادة توظيفه في سياق نهضة الأمة. وجهود العالِم هذه لا بد أن تترافق معها مهمة أخرى، وهي مهمة العمل على إزالة كل المعوقات أمام الحيوية التجديدية التي سوف تنتج عن عملية قراءة التراث وفق المنهج المختار.

ومن أهم الخطوات على هذا الصعيد: السعي الدؤوب في سبيل تثقيف الأمة على تقبل حركة البحث النقدي التي قد تفضي إلى تكذيب ورفض الكثير من الروايات التراثية، وأن يترافق ذلك مع بناء جيل رسالي علمي مسؤول يعمل على مواجهة الجمود والسكون العقلي الذي يتقبل الخرافة

ويستسلم لكل ما يسمع أو يقرأ، ليحل محل هذا العقل الساكن شيئًا فشيئًا العقل النقدي المتحرك الذي يتقبل الرأي الآخر، ولا يضيق ذرعًا به، ويعمل على إعادة النظر فيما أنتجه السلف من أفكار وما استنبطه الماضون من فتاوى، فلا يقدس الماضي لقدمه، كما لا ينبهر بالسائد لمعاصرته، وإنما يتبع الدليل ويرضخ لما قام عليه البرهان.

إنّ الإنجاز العظيم الذي يمكن أن يقدمه الباحث المجدد يكمن هنا، أي في أن يشتغل على إعداد منهج ملائم يكون مرجعًا في كيفية غربلة التراث وقراءته والتعامل معه.

ليس المهم أن تُسطَّر الكتب أو تكثر من الكلام، مفتخرًا بكثرة كتاباتك ومؤلفاتك ومحاضراتك والتي قد تكون إعادة اجترار لهذا التراث، وإنما المهم أن تكتب وفق رؤية ومنهج، وبذلك يمكن لكتابتك أن تشكل إضافة نوعية وتؤسس لحالة وعي وتبشر بمستقبل زاهر.. لقد كتب المسلمون كثيرًا في التراث، وكتاباتهم لا تعدّ ولا تحصى، وقد توسعت وتكاثرت كتب التراث بمرور الزمن، وزاد عدد المحدثين والأخباريين المصنفين في هذا المجال، ويلاحظ أنه مع مجيء الجيل الجديد من المحدثين كان عدد الأحاديث والأخبار والقصص التي يسجلونها في كتبهم يزداد ويتضاعف!

ولك أن تسأل: بماذا أفادتنا تلكم المصنفات التراثية؟ وماذا غيّرت في حياتنا؟ وأضافت على واقعنا؟

إنّ نظرة عابرة إلى واقع المسلمين تقدم لنا جوابًا واضحًا على هذه الأسئلة، فها هم في أسفل السلم الحضاري، بأسهم بينهم شديد رحماء على أعدائهم، تفتك بهم الأمية والجهل وتنتشر في صفوفهم العصبيات المقيتة، إنهم يقولون أكثر مما يفعلون، ويتكلمون أكثر مما يخططون، ويقرأون وقلّ ما يتدبرون أو يعقلون!

لا أدعي أن كتب التراث في نفسها هي المسؤولة عن هذا الواقع المزري، كلا فالمشكلة لها أكثر من بعد، وأكثر من سبب، ولكن لا ريب

أنّ واحدًا من تلك الأسباب هو العقلية التقديسية التي تتلقى كل ما في تلك الكتب التراثية، وتفاخر بكثرة الأخبار والمرويات والمحفوظات، ففلان حفظ مئة ألف حديث وفلان جمع مئات الآلاف.. إنّ كثرة الأحاديث في حد ذاتها قد لا تكون نافعة بل هي ضارة إذا لم ترافقها دراسات نقدية تعمل على التوثق من صحتها وتحقيقها وتنقيح مضامينها وعرضها على معايير نقد الحديث، وعلى رأسها القرآن الكريم.

ليس العلم في حفظ الأحاديث[١] ولا في مجرد روايتها، وإنما العلم في رعايتها ووعايتها. وليس المهم أن تحدّث بما تسمع، أو تروي كل ما تسمع، وإنما المهم أن تعرف ماذا وكيف تقرأ وتروي، وعند من تقرأ وممن تسمع؟ قَالَ علي عليه السلام بحسب ما جاء في الرواية: «**اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوه عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ ورُعَاتَه قَلِيلٌ**»[٢]. وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه»[٣].

صحيحٌ أنّ الكتابة عن المنهج ليست بالأمر الجديد، فقد اشتغل المسلمون بذلك من زمن قديم، وكتبوا كثيرًا، إن بالنسبة لمنهج الاستنباط الفقهي، من خلال علم الأصول، أو بالنسبة لمنهج التعامل مع التراث الخبري، من خلال علمي الرجال والدراية، أو بالنسبة لغير ذلك، بيد أنّ ما كتبوه ليس نهاية المطاف في هذا الحقل ولم يوصد الباب بل لا يزال هناك الكثير مما يقال ويطرح في هذا الشأن، ولا يزال الأمر محتاجًا إلى بذل مزيدٍ من الجهد في سبيل بلورة رؤى جديدة تخرجنا عن أن نكون أسرى للمنهج الذي أرساه السلف في مسألة التعامل مع الخبر، إن لجهة نقده الخارجي (السند) أو الداخلي (المضمون).

---

(١) يقال: إن أحدهم قال لعالم: حفظت كتاب البخاري، قال: ما زدت في البلد إلّا نسخة!

(٢) نهج البلاغة، ج٤، ص٢٢.

(٣) معاني الأخبار، ص٢.

ومن توفيق الله أننا تناولنا قضيّة المنهج في العديد من الأبحاث والدراسات، منها: كتاب أصول الاجتهاد الكلامي ـ دراسة في المنهج، ومنها: كتاب أبعاد الشخصية النبوية ـ دراسة في تصرفات الرسول ﷺ التشريعية والتدبيرية والخبروية والبشرية، ولا نروم هنا التوسع في هذا الأمر، وإنما نرغب في تسليط الأضواء على قضية الخرافة وبيان رؤيتنا في تحديدها وكيفيّة التعامل معها.

٣ ـ من قصص هذا التراث

إنّ هذه الدراسة[١] التي نقدمها للقراء الأكارم تتناول بالدراسة النقديّة مفردة من مفردات هذا التراث وقصة من قصصه الكثيرة والتي وثق بها بعض كبار العلماء، فسجلوها في مؤلفاتهم، وصار المتأخر ينقلها عن المتقدم، وترددها الألسنة دون تمحيص أو تدقيق، وخطورة هذه القصة أنها دخلت بالكثير من تفاصيلها وجوانبها في أكثر من باب من أبواب المعارف الإسلامية، على الرغم من أنّها قضيّة أقرب ما تكون إلى الخيال منها إلى الواقع، عنيت بذلك قصة المعمَّر المغربي التي ستقرأ فصولها فيما يأتي.

إنّ قصّة المعمَّر المغربي التي وجدت طريقها إلى التدوين في الكتب ليست مجرد قصة عابرة ذكرت لغرض الوعظ والإرشاد، أو سجلت بهدف التسلية والترفيه والأنس، وإنما هي قصة وثيقة الصلة بقضايا العقيدة والشريعة، فهي ترتبط بواحدة من أهم العقائد الدينية، أعني بها عقيدة المهدي المنتظر، من أجل ذلك اكتسب بحثها ودرسها أهمية خاصة، فإنّ بقاء هذه القصص قيد التداول بالرغم من أسطوريتها وافتقادها للمنطق

(١) تجدر الإشارة إلى أنّ هذا البحث قد نشر قبل سنتين على الموقع الإلكتروني الرسمي للمؤلف ونشرته أيضًا مجلة الاجتهاد والتجديد في عددها رقم ٤٤، وأعدنا هنا النظر فيه مع بعض الإضافات الهامة والمفيدة.

المتماسك، يشكل مستمسكًا ضد الدين، بدل أن يشكل حجة لصالح الدين في إثبات بعض معتقداته.

إنّ تجاهل هذه القصص وغضّ الطرف عنها فضلًا عن ترويجها وتداولها له سلبيات كثيرة، وإذا غضضت أنت الطرف عنها، فإنّ الآخرين الذين يخالفونك الفكر والرأي لن يغضّوا الطرف، ولن يضيعوا فرصة الإفادة منها للوصول إلى أغراضهم الخاصة، ولا سيما في هذا الزمن الذي يعمل فيه الكثير من خصوم الدين ونبّاشي العثرات والأخطاء، ومتتبّعي الشواذ والغرائب، على إبرازها وتسليط الأضواء عليها من خلال وسائل الإعلام والتواصل المتيسرة واتخاذها وسيلة لتشويه العقيدة والتشهير بالمذهب.

ولذلك أعتقد أنّ العلماء وطلاب المعاهد والحوزات العلمية مسؤولون عن دراسة هذه القصص والحكايات ونقدها بطريقة علمية، وذلك في سياق السعي المطلوب إلى تصحيح هذا التراث وغربلته وتصفيته من كل ما علق به، وهذا لن يسهم في إخراج الإنسان المسلم من عالم الخيال إلى عالم الواقع فحسب، بل سوف يساعد على تقديم عقائدنا وأحكام ديننا بأبهى صورة وأقوى حجة.

ونحن إذ نبحث هذه القصة فلا بد أن ننبّه إلى أنّ لها نظائر كثيرة في التاريخ الإسلامي، ومن أبرز القصص التي تناظرها من أكثر من جهة قصة «بابا رتن» الرجل الهندي الذي ظهر في القرن السابع وادعى أنه من صحابة النبي ﷺ، وحدث عنه ﷺ بأحاديث مختلفة، وصدقه بعض الناس، وكذبه كثير من العلماء.. والغريب أنّ بعض العلماء ومنهم المحدث الشيخ حسين النوري دافع عن هذه القصّة وأدرجها في الفصل المعدّ لذكر المعمرين من كتابه «النجم الثاقب في أحوال الحجة الغائب»!

ما هي قصة المعمر المغربي؟ وما هو مصدرها؟ وما مدى صحتها؟ وهل المعمر المغربي الذي هو محور هذه القصة شخصية حقيقية أم وهمية؟ وما سبب رفضنا لهذه القصة؟ وكيف يثق العلماء بهذه القصة وأمثالها فيودعونها في كتبهم؟

هذه الأسئلة وسواها ستجد الإجابة عليها في صفحات هذا الكتاب، وقد حرصنا في الفصل الأول منه أن نتكلم بإيجاز عن الفكر الخرافي وأسباب تكوّنه، وكيفية انتشار الخرافة وعلاقتها بالدين، والحد الفاصل بينها وبين الحقيقة. لننتقل في الفصل الثاني لتقديم موجز عن القصة المذكورة ومدى ارتباطها بالمعارف الإسلامية، وهو ما يعكس أهميّة بحثها، ليتبعه الفصل الثالث، وفيه عرض للقصة من خلال روايات الفريقين (السنة والشيعة)، ثم يعقبه الفصل الرابع وفيه كلام حول شخصية المعمر المغربي، ونسبه وأحواله، وأما الفصل الخامس فنخصصه لدراسة هذه القصة دراسة نقدية تبين نقاط الوهن والضعف والتناقض فيها، ثم نتطرق في الفصل السادس إلى الظهور الثاني للمعمر المغربي في القرن الثاني عشر، ونسجل ملاحظاتنا على هذا الادعاء، ليأتي بعد ذلك الفصل السابع، والمخصص لعرض الأخبار التي رويت عن المعمر المغربي عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي انتشرت في كتب الحديث وغيرها عند السنة والشيعة، ومن ثم ندخل في الفصل الثامن والذي خصصناه للحديث عن استيلاد معمر آخر وهو المعمر المشرقي، وندرس هذه القصة المزعومة، ومن ثم يأتي الفصل التاسع والأخير، ونتحدث فيه عن الذي دفع العلماء للوثوق بهذه القصص وتسجيلها في مصنفاتهم وكتبهم.

ومن ثم نختم بإدراج ثلاثة ملاحق، نتطرق في الأول منها إلى نقد قصة تعرف بقصة قاضي الجن. وفي الثاني منها نتحدث عن نقدِ قصة المعمر الهندي بابا رتن، وفي الثالث نسلط الضوء على ادعاءات المهدوية.

والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حسين أحمد الخشن

١٥ صفر ١٤٤١هـ

الفصل الأول

الخرافات في دائرة النقد

- الخرافة والحقيقة
- الخرافة والدين

أولًا: الخرافة، تعريفها، منشؤها

ما هي الخرافة؟ وما هي العناصر التي تساهم في تشكّلها؟ وكيف تتسلل الخرافة إلى التراث لتصبح مع مرور الوقت حقيقة يصعب نقدها؟

١ ـ الخرافة والأسطورة

يمكنني أن أعرِّف[1] الخرافات بأنها الأفكار والأحاديث والقصص

---

(١) الخرافة على ما قيل: اسم رجل، قال الزمخشري: «إذا سمعت العرب حديثًا لا أصل له قالوا: حديث خرافة، ومنه قول ابن الزبعرى:

أعلل بالمجاعة في حياتي وبعد الموت من غل وخمر
حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

وهو رجل استهوته الجن ثم رجع وكان يحدث الناس بأعاجيب ينسبها إلى الجن. ثم كثر حتى قيل للأباطيل والترهات الخرافات. وسمعت العرب يشددون الراء. ويسمون الأباطيل الخراريف»، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٤، ص٣٥٠. وقوله هو رجل استهوته الجن إلخ فيه إشارة إلى ما روي عن عائشة قالت: حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثًا، فقالت امرأة منهن: «يا رسول الله كأن الحديث حديث خرافة! فقال: أتدرون ما خرافة أن خرافة كان رجلًا من عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهن دهرًا طويلًا ثم ردوه إلى الإنس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة»، مسند أحمد، ج٦، ص١٥٧. ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك، قال: «اجتمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم نساؤه، فجعل يقول الكلمة كما يقول الرجل عند أهله. قال: فقالت إحداهن: كأن هذا من حديث خرافة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتدرين ما حديث خرافة؟..» ذم المسر لابن أبي الدنيا، ص٩١ ويبدو لي أن هذا الحديث نفسه هو حديث خرافة، وفيه جرأة عظيمة على رسول الله ﷺ من إحدى زوجاته حيث رمت حديثه بالخرافة، ومع ذلك استرسل النبي في الحديث وبيّن لهن من هو خرافة وما هي علاقته بالجن؟! وقد ضعفه الترمذي في الشمائل=

الخيالية التي لا أساس لها لا من العقل ولا من العلم ولا من الدين، ولا يصدقها الواقع والحس. وهي بهذا المعنى شبيهة بلفظ الأسطورة، والأخيرة لفظ قرآني، فقد وردت لفظة الأساطير في القرآن الكريم تسع مرات[١]، وذلك فيما حكاه القرآن الكريم على لسان المشركين والكافرين، إما في وصفهم لآيات القرآن الكريم أو في وصفهم للمعاد، أما في وصفهم للقرآن فورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال ٣١]، وأما في وصفهم للمعاد فورد ذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون ٨٢ ـ ٨٣].

والأساطير جمع أسطورة[٢]، على وزن أحاديث وأحدوثة، وأكاذيب وأكذوبة، وهي الأشياء المسطورة، وأصلها من سطر، بمعنى كتب. قال

=المحمدية، ص١٣٧، وقال ابن كثير: «وهو من غرائب الأحاديث وفيه نكارة. ومجالد بن سعيد يتكلمون فيه فالله أعلم»، البداية والنهاية، ج٦، ص٥٣. وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وقد سأله ابنه عن حديث خرافة فقال: «بلغني عن عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم حدثني بحديث خرافة، فقال رحم الله خرافة إنه كان رجلا صالحا وإنه أخبرني أنه خرج ليلة لبعض حاجته فلقيه ثلاثة من الجن فأسروه فقال واحد نستعبده وقال آخر نعتقه فمر بهم رجل.. فذكر قصة طويلة»، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢٣٢، ومما يشهد لكون هذا الحديث حديث خرافة أن صاحب القصة وهو خرافة العذري لم يذكر في عدد صحابة النبي ﷺ على فرض أنّه أدرك الإسلام، وإنما ورد في هذه القصة فحسب، واعترف بذلك ابن حجر وذكر أنه لم ير من ذكره من الصحابة، راجع: المصدر نفسه.

(١) الأنعام، الآية ٢٥، والأنفال، الآية ٣١، والنحل، الآية ٢٤، والمؤمنون، الآية ٨٣، والفرقان، الآية ٥، والنمل، الآية ٦٨، والأحقاف، الآية ١٧، والقلم، الآية ١٥، والمطففين، الآية ١٣.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ص٤٠٩.

تعالى: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾ [الطور ـ ٢]، والسياق القرآني دليل على أنّهم أرادوا بالأساطير الأباطيل والقصص المكذوبة والتي لا واقع لها، والتي تنقل عن السابقين وقد تذكر وتتلى بغرض التسلية، أو ما إلى ذلك، ولهذا نجد أنه تمّت إضافة الأساطير في كافة الآيات القرآنية إلى الأولين، قال الطبرسي في تفسير أساطير الأولين: «أي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها، عن الضحاك. وقيل: معنى الأساطير: الترهات والبسابس (الأباطيل) مثل حديث رستم وإسفنديار، وغيره، مما لا فائدة فيه، ولا طائل تحته»(١).

وقد اتضح أن الأسطورة في القرآن الكريم تأتي بمعنى الخرافة، لجهة اشتمال الأمر على قصة مكذوبة ولا أصل لها، ويبقى الفارق بينهما (بين الأسطورة والخرافة) من بعض الجهات غير الجوهرية، من قبيل أنّ الأسطورة هي القصة المسطورة (المكتوبة) بينما الخرافة أعم. أجل، في الاستخدام الشائع للمصطلحين المذكورين، فإن الخرافة بقيت تستخدم في الأكاذيب والأفكار الواهية، أما الأسطورة فإنها لا تنحصر بالأكاذيب، بل قد تطلق حتى على بعض قضايا الغيب والقصص الدينية أو غير الدينية المحفوفة بالإعجاز والخوارق والإنجازات البطولية المبالغ بها، وربما غدا لها وقع في النفوس وانتشار واسع، ومن هنا فإنّ الدراسات الاجتماعية المعاصرة لم تعد تنظر إلى الأسطورة دائمًا نظرة أخلاقية (نظرة التحسين والتقبيح)، ولا تقيمها من زاوية صدقها (مطابقتها للواقع) أو كذبها، بل من زاوية تأثيرها ووظيفتها الاجتماعية، ولذا غدت الأساطير في بعض الأحيان مصدر إلهام للشعراء أو الكتاب أو مخرجي ومعدّي الأفلام..

(١) مجمع البيان، ج٤، ص٣٢.

٢ ـ كيف تتشكل الخرافة وما هو منشؤها؟

ولكن كيف تنشأ الخرافة أو الأسطورة؟ وما هي العناصر الدخيلة في تشكلها؟

إنّ الخرافة أكانت في الفضاء الاجتماعي أو الديني أو غير ذلك، لها منشأ معين تنطلق منه، وتتحرك في إطاره، وهي تارة تنطلق بشكل عفوي، وأخرى يبتكرها البعض من ذوي الخيال الخصب، عن سابق تصور وتصميم، لغرض معين، وليس بالضرورة أن يكون لمبتكرها غرض خبيث، فلربما كان ذا نية سليمة ويرمي إلى تحقيق غرض نبيل بنظره، أكان غرضًا تربويًا[١] أو ترفيهيًا[٢]، أو دينيًا[٣]. وبالإضافة إلى هذه المنطلقات، يمكننا أن نشير إلى دوافع ومنطلقات أخرى لانتشار الخرافة في الفضاء الديني وأسباب تقبلها لدى شرائح متعددة من الناس:

الأول: الجهل والسذاجة

وهذا المنشأ يعدُّ الأساس لانطلاق الخرافات ويمثّل البيئة الحاضنة والملائمة لانتشار الفكر الخرافي. فهو يدفع بالإنسان إلى أن يعزو الأشياء إلى غير حقيقتها، فجهل الإنسان بحركة الأجرام السماوية ونظامها دفعه إلى الاعتقاد بأنّ الطبيعة تغضب عليه إذا أرعدت أو أبرقت، أو كسفت شمسها أو خسف قمرها، والجهل هو الذي دفعه إلى الاعتقاد بالغول وهو كائن خرافي خيالي لا واقعية له.

---

(١) كما في الخرافات التي تدور حول تخويف الأطفال ببعض الكائنات الوهمية لغرض تخويفهم، طبيعي أن هذا الأسلوب خطأ تربوي، حتى لو ظنه الناس صوابًا أو كان مريحًا لهم.

(٢) كما هو الحال في القصص الخرافية التي ابتكرها العقل البشري لغرض التسلية وإشباع رغبات الناس بالأنس عند الاستماع للحكواتي الذي يروي لهم قصصًا من الخيال الخصب.

(٣) كما هو الحال في القصص الخرافية التي يرمي مؤلفوها إلى تحذير الناس وتخويفهم، ردعًا لهم من ارتكاب المعاصي والذنوب.

وكما هو الحال في الإنسان الجاهل، فإنّ الإنسان الساذج أيضًا حتى لو كان متعلمًا هو إنسان تستهويه الغرائب، وينْشَدُّ إلى اللامعقول.

الثاني: النزعة التقديسيّة

إنّ النظرة العاطفية إلى الأمور تتحكم بكثير من الناس، وهي تؤسس لنزعة تقديس الأشخاص أو الأشياء أو الأزمنة أو الأمكنة، وهذه النزعة هي سبب آخر لعدم مقاربة الموقف بطريقة عقلية برهانية، وهذا ما يسهم في انتشار الخرافة وتقبلها فيما يرتبط بالمقدس، ويجعله خارج دائرة النقد أو الاعتراض أو احتمال الخطأ. وقد لاحظنا في بعض الكتابات أنّ غلواء العاطفة وتحكمها في النفوس جعلها معيارًا أساسيًا في التعامل مع أحداث النهضة الحسينية، وهو ما منع من تنقية النصّ العاشورائي، فظلّ عصيًا على التحقيق، ما أدخل علينا الكثير من الأفكار الخرافية التي يتم تداولها كل عام مع ما فيها من أوهام وخرافات، وأنّ هذه الغلواء نفسها عندما امتدت إلى إحياء هذه النهضة أدخلت علينا سيلًا من الطقوس الخرافية.

الثالث: الغيبيّة التجريدية

إنّ الإيمان بالغيب هو جزءٌ لا يتجزأ من اعتقادنا الديني، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة ـ ٢، ٣]، والغيبية القرآنية هي غيبية لا تبتعد عن الشهود، ولا تفصل الإنسان عن الواقع ولا تمنعه من الأخذ بمنطق الأسباب، بيد أنّ البعض فهم غيبيّة الدين بطريقة خاطئة ومفرطة في الابتعاد عن الواقع الخارجي وقوانينه، ما جعله مهيَّأً لتقبل الخرافة وسرعة تصديقها، ولهذا السبب، فإنّ غالب الخرافات تتمحور حول قضايا الغيب البعيدة عن الإدراك الحسي، ومن ذلك قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، التي تكثر حولها الادعاءات والمزاعم[1].

(١) راجع الملحق (٣).

الرابع: العصبية المنغلقة

بالإضافة إلى ما تقدم، يمكننا أن نشير إلى عامل رابع، وهو المذهبيّة المنغلقة، فإنها ـ وبإقصائها للعقل النقدي الذي يتعامل مع الأمور بموضوعية وينتصر للحقيقة ولو كانت على خلاف هواه الديني والمذهبي ـ مدعاة للتعصب الأعمى، ما يسهم في تسخيف العقول وتهيئتها لتقبل كل ما يُلقى عليها، وهكذا يسهل الترويج للخرافة، هذه الخرافة التي ما تلبث كثيرًا حتى تجد لها غطاءً دينيًا وخطابًا تبريريًا تجميليًا يحاول إضفاء لون من «العقلنة» عليها، كونها قد غدت ذات وظيفة مقدسة تخدم أهداف الجماعة المذهبية.

الخامس: الكيد للدين

وعلينا أن لا نغفل أو ننسى دور المعادين للدين، ومنهم بعض الملاحدة أو غيرهم والذين عرف عنهم أنهم أسهموا بوضع الأحاديث المكذوبة على لسان النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، ومن ثم ترويجها وبثّها في أوساط المسلمين بل دسّها في كتبهم[1]، وهؤلاء يهمُّهم كثيرًا نسج القصص الخرافيّة وترويجها باسم الدين، لأنّ ذلك يمثّل مادةً دسمة بأيديهم لتشويه المفاهيم الدينية في أذهان عامة الناس، وقد تطرقنا في كتاب «الشيعة والغلو» إلى نماذج كثيرة للأخبار والقصص التي وضعها المغرضون من الملاحدة أو وضعها الغلاة التأويليون التحريفيون والتي مسخوا بموجبها صورة الدين، من قبيل الروايات التي نسبوها إلى الأئمة عليهم السلام، وهي تتحدث عن تقسيم

(١) في صحيحة هشام بن الحكم، أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها الكفر والزندقة، ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه ويأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك ما دسه المغيرة ابن سعيد في كتبهم»، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٤٩١.

الخضار والفواكه والحيوانات إلى ما هو موالٍ لأهل البيت عليهم السلام وما هو معادٍ لهم، وربما تكون قصة حمار[١] النبي صلى الله عليه وآله المسمى عفير من هذه القصص الخرافية.

---

(١) ومما يمكن عدّه من الأحاديث الخرافية: حديث الحمار، روى الكليني عن مَحَمَّد بْن الْحُسَيْنِ وعَلِيّ بْن مُحَمَّدٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ شَبَابٍ الصَّيْرَفِيِّ عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتْ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله الْوَفَاةُ دَعَا الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام... ثُمَّ قَالَ: يَا بِلَالُ عَلَيَّ بِالْبَغْلَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ والدُّلْدُلِ والنَّاقَتَيْنِ الْعَضْبَاءِ والْقَصْوَى، والْفَرَسَيْنِ: الْجَنَاحِ كَانَتْ تُوقَفُ بِبَابِ الْمَسْجِدِ لِحَوَائِجِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله يَبْعَثُ الرَّجُلَ فِي حَاجَتِه فَيَرْكَبُه فَيَرْكُضُه فِي حَاجَةِ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله، وحَيْزُوم وهُوَ الَّذِي كَانَ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، والْحِمَارِ عُفَيْرٍ فَقَالَ: اقْبِضْهَا فِي حَيَاتِي فَذَكَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ مِنَ الدَّوَابِّ تُوُفِّيَ عُفَيْرٌ سَاعَةَ قُبِضَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله قَطَعَ خِطَامَه ثُمَّ مَرَّ يَرْكُضُ حَتَّى أَتَى بِئْرَ بَنِي خَطْمَةَ بِقُبَا، فَرَمَى بِنَفْسِه فِيهَا فَكَانَتْ قَبْرَه.. وَرُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الْحِمَارَ كَلَّمَ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيه عَنْ جَدِّه عَنْ أَبِيه أَنَّه كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ فَقَامَ إِلَيْه نُوحٌ فَمَسَحَ عَلَى كَفَلِه، ثُمَّ قَالَ: يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا الْحِمَارِ حِمَارٌ يَرْكَبُه سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وخَاتَمُهُمْ، فَالْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي جَعَلَنِي ذَلِكَ الْحِمَارَ»، الكافي، ج١، ص٢٣٦. وهذا الحديث ضعيف، وفيما يتصل بآخره، وهو الذي يتضمن حديث النبي مع الحمار فيه إرسال، لأنه قوله: «وروي أن أمير المؤمنين..»، هو بحسب الظاهر من كلام الكليني، ولذا قال المجلسي تعليقًا على سند الخبر: «ضعيف وآخره مرسل»، مرآة العقول، ج٣، ص٤٨. ورواه الصدوق في علل الشرائع عن أبي عبد الله عليه السلام وللخبر أصل في بعض مصادر أهل السنة، وربما أخذه الكليني من هناك، لأن ما جاء من كلام الحمار مع النبي صلى الله عليه وآله إنما جاء فيما أرسله الكليني في آخر كلامه بقوله: «وروي»، قال في السيرة الحلبية: «وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر أصاب حمارا أسود فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اسمك؟ قال: يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كلهم لا يركبهم إلّا نبي، وقد كنت أتوقعك لتركبني لم يبق من نسل جدي غيري ولم يبق من الأنبياء غيرك، قد كنتُ لرجل يهودي فكنت أتعثر به عمدًا وكان يجيع بطني ويضر بظهري، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: فأنت يعفور، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه إلى باب الرجل، فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج صاحب الدار أومأ إليه أن أجبْ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقى نفسه في بئر جزعًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات، قال ابن حبان:

٣ ـ كيف تتحول الخرافة إلى حقيقة؟

إنّ محاولة عقلنة الخرافة هي أغرب ما يكتنف الخرافات، حيث تتحول بمرور الزمن إلى ما يشبه الحقيقة ويغدو نقدها مبعث استغراب واستهجان، ويخلق اصطدامًا مع الذهنيّة الشعبية العامة، ومع حراس هذه الذهنية من «الخاصة». وكثيرة هي الأكاذيب والأوهام والخيالات التي يحوّلها التقديس إلى واقعيات، وما أكثر الأساطير التي يضفي عليها البعدُ الغيبي المحيط بها طابعَ المسلمات لتصبح جزءًا من المنظومة الاعتقادية لهذه الجماعة أو تلك، وينطلق التنظيرُ لها والدفاعُ عنها وتكلُّفُ تبريرها بلغة منطقية منمقة!

وغالبًا ما يلعب القصاصون وأضرابهم ممن يعتاشون على جهل الناس دورًا في نشر الفكر الخرافي والترويج له، ومن المعلوم أنّ جاذبية القصة والحكاية تستدعي اشتمالها على عناصر إثارة وخيال وغرابة وخروج عن المألوف، وعندما تنتشر القصة أو الحكاية وتتلى على المنابر ويشبّ على سماعها الوليد، ويهرم عليها الكبير فإنّ ذلك يمنحها رسوخًا في الأذهان. وشيئًا فشيئًا تنقلب الموازين العلميّة لدى الخاصة فضلًا عن عامة الناس،

هذا= =خبر لا أصل له وإسناده ليس بشيء وقال ابن الجوزي لعن الله واضعه فإنه لم يقصد إلّا القدح في الإسلام والاستهزاء به، وقد قال شيخنا العماد بن كثير: هذا شيء باطل لا أصل له من طريق صحيح ولا ضعيف، وسألت شيخنا المزي رحمه الله فقال: ليس له أصل وهو ضحكة، وقد أودعه كتبهم جماعة منهم القاضي عياض في الشفاء والسهيلي في روضه، وكان الأولى ترك ذكره ووافقه على ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله وغفر لنا وله وللمسلمين»، السيرة الحلبية، ج٢، ص٧٧٤، هذا ولكنّ العلامة المجلسي لم يستبعد كلام الحمار معه ﷺ قال: «ولا يستبعد من كلام الحمار من يؤمن بالقرآن وبكلام هدهد والنمل وغيرهما» مرآة العقول، ج٣، ص٥٢، أقول: إنّ حديث الحمار ضعيف جدًا من حيث السند، والقضية لا تتوقف عند حديث الحمار مع النبي ﷺ ليقال: لا مانع من ذلك، فإن كلام الهدهد مع سليمان ثابت بنص القرآن، وإنما فيما يكتنف هذه الروايات من غرابة، وما يلوح عليها من علامات الوضع، ولا سيما أنه على رواية السيرة الحلبية، قد عرف نفسه للنبي ﷺ بأنه يزيد بن شهاب! ولا ندري متى كان للحيوانات أسماء وأنساب؟!

فلا يتقبلون نقد القصة أو الممارسة، وإذا سألتهم ما الدليل على شرعية هذا الطقس أو تلك الممارسة، فإنهم يردون السؤال عليك بالقول: وما الضير أو الضرر في هذا العمل؟ وتصبح أنت المطالب بالدليل، وهذا يمثل انقلابًا خطيرًا في الموازين، وهو ذريعة قد تسمح بتمرير كل شيء تحت هذا الغطاء الفضفاض.

إنّ هذا المنطق التبريري، الذي ينتصر للمألوف والمعتاد والعصبيات أكثر من انتصاره للحقائق، إذا دخل على شيء أفسده. وقد دخل فعلًا على قراءة السيرة وأحداث التاريخ فقدمها بطريقة زاهية مغايرة للواقع، فأصبح تاريخنا كله بطولات وإنجازات، أو هزائم وخيانات. ودخل إلى الفقه فأفسده، حيث ساد منطق التحايل على النصوص، وتحوّل الفقيه في بعض الأحيان إلى أكبر خادم لسلاطين الجور والطغيان وغدا منظّرًا ومبررًا لكل إجرامهم وقمعهم لشعوبهم بالحديد والنار، ودخل على علم الكلام فحوّل علماء الكلام والعقيدة إلى حراس للقديم.

وقد يخرج علينا البعض بذريعة أخرى للدفاع عن بعض الخرافات، أو الطقوس، وهي أنه حتى لو كانت لا تعتمد على دليل أو برهان، بيد أنّها أصبحت جزءًا من تراث الشعوب، وينبغي الحفاظ عليها باعتبارها إرثًا تاريخيًا، حفظًا لذاكرة الشعوب وحمايةً لخصوصيتها الثقافية.

وإذا كنّا لا نمانع من الحفاظ على عادات الشعوب المفيدة بعنوان أنها جزء من التراث، فإننا لا نستطيع أن نوافق على العادات إذا كانت عادات مسيئة أو عبثية أو مضرة بالجسم أو بالروح، وبالأولى أن لا نوافق عليها تحت أي اعتبار إذا تمّ إدخالها في الدين وإلباسها لبوس القداسة الدينية، فإنّ ذلك يمثل ابتداعًا مرفوضًا ومدانًا.

وإذا كان القصاصون يلعبون دورهم في الترويج للخرافات لمصالح مادية صرفة، فإنّ أرباب السلطة ولدوافع سياسية دنيئة، يعملون على ترويج الفكر الخرافي، لأن الناس كلما عاشت في مستنقع الجهالة والخرافة استطاع

الحاكم السيطرة عليهم وسهل عليه استيعابهم وتدجينهم، ولذا فإننا لا نبالغ بالقول: إن ثمّة علاقة وطيدة بين السياسة والخرافة، فمصلحة أهل السلطة العمل على تخدير الجماهير وإلهائهم بأفكار خرافية أسطورية.

لقد استطاعت السلطة السياسية في التاريخ الإسلامي أن تعبث في العقائد وتروج لمنظومة من العقائد والأفكار والمفاهيم التخديرية[١]، كما استطاعت أن تدجِّن الكثير من الفقهاء والعلماء والشعراء وتوظفهم في بلاطها ليلمعوا صورتها ويبرروا سلوكها وطغيانها. ولم يسلم التاريخ نفسه من عبث السلطة في حقائقه ووقائعه بما يخدم أهدافها، حتى لقد ابتكر العقل السلطوي الكاذب رجالًا لا وجود لهم، وقد أحصى بعض المحققين وهو السيد مرتضى العسكري، مائة وخمسين صحابيًا مختلَقًا[٢].

٤ ـ ما هو الحد الفاصل بين الحقيقة والخرافة؟

والسؤال الجدير بالتوقف عنده، هو أنه كيف يتمّ التمييز بين الخرافة والحقيقة؟

لا شك أن قيام الدليل المقنع على الفكرة هو الحد الفاصل بين واقعيتها وأسطوريتها، فكل ما لا يعضده الدليل لا يسعنا الأخذ به ولا تصديقه. والدليل بنظرنا: قد يكون برهانا عقليًا، وقد يكون قاعدة علميّة، وقد يكون وحيًا إلهيًا. وهذه الثلاثة بنظرنا هي مصادر المعرفة على اختلاف في مجالاتها، وهي العناصر الفاصلة بين الحق والباطل وبين الحقيقة والخرافة. وإننا نعتقد أيضًا أنّه لا تعارض بين هذه المصادر الثلاثة، فلا منافاة بين الدين والعلم ولا بينهما وبين العقل، وقد أوضحنا ذلك في محل آخر[٣].

---

(١) في كتاب عاشوراء ـ قراءة في المفاهيم وأساليب الإحياء، ص٢٣، تحدثنا عن العديد من الأفكار العقدية التي استطاع العقل السلطوي الترويج لها ونشرها لأنها تخدم أغراضه الخاصة.

(٢) في كتابه: خمسون ومائة صحابي مختلق.

(٣) راجع: كتاب أصول الاجتهاد الكلامي، ص٤٣٩ وما بعدها.

ومن وحي هذه المصادر التي نستقي منها معارفنا، نتعلم قاعدة هامة في هذا السياق، وهي أنّه عندما نواجه ظاهرة مستجدة، ولو كانت غير معتادة ولا مألوفة، فعلينا التمهل قبل إصدار الحكم برفضها وتكذيبها، ورميها بالخرافة، وفي الوقت عينه، فإنّ منطق العلم والعقل والدين، يدعونا إلى عدم التسرع في تصديق المسموعات والمنقولات. وإنما علينا التدقيق والتثبت، فما أكثر ما تسبَّبَ التسامح والتساهل وتلقي الأخبار بسذاجة في شيوع الأكاذيب وانتشار الخرافات. في الخبر عن إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّه عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه عليه السلام قَالَ: «إِنَّ اللَّه خَصَّ[1] عِبَادَه بِآيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِه، أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَعْلَمُوا ولَا يَرُدُّوا مَا لَمْ يَعْلَمُوا، وقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف ـ ١٦٩] وقَالَ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس ـ ٣٩]»[2].

وإنّ غرابة الحادثة وإعجازها وخرقها لقوانين الطبيعة يدعونا إلى مزيد من التدقيق في صدقيتها، والتثبت من وسائل إثباتها، لأنّ النواميس الطبيعية لا يتم خرقها جزافًا، والمعجزات لا تحدث دونما سبب موجب.

على أنّنا نميل إلى التحفظ الشديد والتوقف عن قبول كل ما يتفرد بعض الرواة ـ ولو كانوا ثقاة ـ بنقله من حوادث عظيمة ومعجزات كبيرة وخارقة

---

(١) وفي بعض المصادر «حصّن عباده»، انظر: بحار الأنوار، ج٢، ص١٨٢، نقل ذلك عن بصائر الدرجات، ثم بيّن معنى التحصين، فقال: «التحصين: المنع أي منعهم وجعلهم في حصن لا يجوز لهم التعدي عنه بسبب آيتين، وقوله عليه السلام: «أن لا يقولوا» بيان للتحصين لا مفعوله. وفي أكثر نسخ الكافي «خص» بالخاء المعجمة والصاد المهملة. فقوله: أن لا يقولوا متعلق «بخص» بتقدير «الباء» وفي بعضها «حض» بالحاء المهملة والضاد المعجمة أي حث ورغب، بتقدير «على»»، بحار الأنوار، ج٢، ص١٨٧.

(٢) الكافي، ج١، ص٤٣، والأمالي للصدوق، ص٥٠٦، وإسحاق بن عبد الله إن أريد به إسحاق بن عبد الله بن سعد الأشعري كما لا يبعد لوحدة الطبقة، وعدم دليل على التغاير، فهو ثقة، انظر: رجال النجاشي، ص٧٣.

للنواميس الكونية، مما تستدعي العادة أن يراها الآلاف وينقلونها ويتداولونها، ولكننا مع ذلك نجدها مروية في أخبار آحاد ويتفرد بنقلها أفراد قلائل!

ثانيًا: الخرافة والدين

وتبقى العلاقة بين الخرافة والدين هي النقطة الجدليّة الأهم، والتي علينا أن نركز النظر عليها ونوليها اهتمامًا خاصًا، لأنّ الخرافة التي تلبس لبوس الدين تعدّ خطرًا على الدين نفسه، قبل أن تكون خطرًا على المتدين وعلى الإنسانية جمعاء.

١ ـ تسلل الخرافيات إلى المجال الديني

ارتبط الدين عند البعض بالخرافة، وهذا الارتباط قد يكون له ما يبرره بلحاظ أنّ الدين هو المجال الأبرز الذي دارت حوله وفي محيطه الخرافات والأساطير، بيد أنّ النظرة المدققة لرسالة الدين ولنصوصه الثابتة تجعلنا نجزم أنه ما كان يومًا فكرًا خرافيًا أو يؤمن بالخرافة ويدعو لها. أما بالنظر إلى النسخة المتداولة عن الدين والكثير من نصوصه فلا مجال لإنكار علاقتها بالخرافات بل علينا الاعتراف أنّ الكثير من الخرافات لبست لبوس الدين وكان التراث الديني هو الأساس في التأسيس والترويج لها، وغالبًا ما كانت الخرافات تدور حول القضايا البعيدة عن الحس، ويمكن أن نشير إلى بعض هذه المجالات:

أ ـ قصص الأنبياء السابقين: لقد شكّلت قصص الأنبياء السابقين مسرحًا بارزًا للفكر الخرافي، الذي عمل على نسج الأساطير حول بعض الشخصيّات الرمزية في التاريخ الديني، ويعدّ التراث الإسرائيلي المصدر الأساس لهذه القصص، ومع الأسف فقد تسربت هذه الخرافات الإسرائيلية إلى مصادر المسلمين من خلال مسلمة أهل الكتاب، أمثال كعب الأحبار

ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وتميم الداري، وغيرهم من الشخصيات الذين أتاحت السلطة في صدر الإسلام لهم ـ بذرائع واهية ـ أن يبثوا أفكارهم الخرافية من على منابر المسلمين، ثم سجلت هذه الأساطير في كتب التفسير وغيرها[١]. وما قصة نبي الله داوود عليه السلام مع زوجة أوريا (أحد جنوده) إلّا نموذجًا صارخًا لهذه القصص الخرافية[٢] التي لا يقبلها عقل ولا دين في حق نبي عظيم وهو داوود. وقلّ أن تخلو سيرة نبي من أنبياء بني إسرائيل من نسج قصص خيالية حوله.

ب ـ أخبار الملاحم والفتن: والمجال الآخر الذي شكل حقلًا خصبًا للفكر الخرافي، هو مجال ما عرف بالملاحم والفتن وكل ما يتصل بالمستقبليات والنهائيات وحوادث آخر الزمان، وقد برع خيال القصاصين في هذا المجال فوضعوا ما أملته عليهم مخيلتهم الخصبة من قصص خرافية، وذلك استجابة لرغبة «العامة» في التطلع والتشوف لمعرفة نهاية العالم، وما يرافق لحظة النهاية من كوراث طبيعية وأعمال إجرامية وأحداث جسام، بحسب الصورة النمطية التي يتم تقديمها عن ذلك اليوم الموعود. والحقيقة أنّ القصص الخرافية التي ظهرت في هذا المجال كثيرة جدًا، ومن أبرزها قصة الجزيرة الخضراء[٣]، وقصة المعمر المغربي التي سوف نتناولها بالدرس فيما يأتي، إلى غيرها من القصص.

ت ـ العوالم الخفية: ولا سيما عالم الجن، وتواصل الإنسان معه، وقد انتشرت الكثير من الحكايات والقصص الشعبية عن الجن وقدراتهم، وتسلل الكثير من تلك القصص الخرافية المرتبطة بالجان إلى كتب المسلمين، ما

---

(١) عبد الله بن سبأ، ج٢، ص٢٠٤.

(٢) تكلمنا مفصلًا عن هذه القصة وكيفية تسربها في كتاب حاكمية القرآن، ص٢٤٤ وما بعدها.

(٣) كتب بعض الأعلام في إثبات أن حديث الجزيرة الخضراء هو حديث مختلق ولا أساس له من الصحة.

جعل الحديث عن الزواج من الجن والتناسل منهم مسوغًا حتى لدى العقل الفقهي الذي طرح هذا الفرع في البحوث الفقهية[١]، ومن أبرز القصص الخرافية المتصلة بالجن: ما ورد في قضية زواج الخليفة عمر بن الخطاب بأم كلثوم بنت علي عليه السلام حيث تقول الرواية إنّ التي تزوّجها عمر لم تكن أم كلثوم، وإنما كانت «جنية يهودية» من أهل نجران[٢]. وسيأتي في الملاحق

(١) راجع ما ذكرناه حول هذا الموضوع في كتاب ظواهر ليست من الدين، ص٣٦.

(٢) في الخبر الذي رواه الراوندي عن عمر بن أذينة [قال:] قيل لأبي عبد الله عليه السلام: «إن الناس يحتجون علينا ويقولون: إن أمير المؤمنين زوج فلانا ابنته أم كلثوم. وكان متكئًا فجلس وقال: وتقبلون أن عليا أنكح فلانا بنته!؟ إن قوما يزعمون ذلك لا يهتدون إلى سواء السبيل، ولا الرشاد. فصفق بيده وقال: سبحان الله أما كان أمير المؤمنين عليه السلام يقدر أن يحول بينه وبينها فينقذها!؟ كذبوا لم يكن ما قالوا. إن فلانا خطب إلى علي عليه السلام بنته أم كلثوم فأبى علي عليه السلام فقال للعباس: والله لئن لم يزوجني لأنتزعن منك السقاية وزمزم. فأتى العباس عليا عليه السلام فكلمه، فأبى عليه، فألح العباس، فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام مشقة كلام الرجل على العباس، وأنه سيفعل بالسقاية ما قال، أرسل أمير المؤمنين عليه السلام إلى جنية من أهل نجران يهودية، يقال لها «سحيقة بنت جريرية»، فأمرها، فتمثلت في مثال أم كلثوم، وحجبت الابصار عن أم كلثوم، وبعث بها إلى الرجل..»، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٨٢٦، وتعليقًا على هذه الرواية قال الشيخ أبو الحسن الشعراني: «وأمّا ما رواه المصنف من حديث الجنية اليهودية من أهل نجران، فعن جماعة مجهولين ولا حاجة إليه كما ذكرنا ولا ندري ما الداعي إلى وضع هذه الحكاية ونقلها، فإن كان لعدم صحة نكاح أم كلثوم بعمر فقد عرفت إنه صحيح بمقتضى فقه الشيعة الإمامية، وإن كان لاستبعاد ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام مع ما جرى بينهم في مبدء الخلافة، فهو أيضًا غير مقبول مع ما نعلم من علي عليه السلام من المسامحة والإغماض مع أعدائه والعفو عن منابذيه ووصى بابن ملجم خيرا بعد الضربة، عفى عن مروان بن الحكم بعد حرب الجمل بعد أن أسروه مع كمال عداوته، وعفا عن عمرو بن العاص في صفين وأغمض عنه النظر وعفى عن الأشعث بن قيس وغيرهم، كما عفى النبي صلى الله عليه وآله عن الطلقاء خصوصًا عن أبي سفيان وهند قاتلي عمه، وإنما يستبعد مثله من ساير الناس لأنه إذا جرى بينهم أقل من ذلك منعهم من المزاوجة والمراودة، ونعلم أنه لم يكن علي عليه السلام يراعي إلّا مصالح الدين، فإذا رأى المصلحة في تزويج أم كلثوم بعمر، وكان في الشرع جائزًا لم يكن يمتنع منه لتلك الضغائن، وكأن واضع هذا الخبر قاس عليًّا عليه السلام بسائر أفراد الناس فاخترع هذه الخرافة التي تضحك منها الثكلى=

وقفة عند حديث «قاضي الجان»، الذي حكم بالحق في قضية كان أحد طرفيها شخص من الجن والطرف الثاني رجل من الأنس، واستند ذلك القاضي في حكمه على حديث سمعه من رسول الله ﷺ، وهو حديث تفرد قاضي الجن هذا بسماعه من النبي ﷺ!

ث ـ الرموز المقدسة: إنّ قداسة الرموز الدينية ولا سيما تلك التي احتلت ـ لسبب من الأسباب ـ في الوجدان الشعبي مكانة خاصة ومتعالية، كما هو الحال في السيد المسيح عليه السلام عند المسيحيين، أو في رسول الله ﷺ[١] لدى المسلمين عامة، أو في الإمام علي عليه السلام[٢]، وولده الإمام الحسين عليه السلام عند المسلمين الشيعة، إنّ قداسة هؤلاء الرموز كانت مجالًا واسعًا لتحاك حولهم سلسلة طويلة من الخرافات والأساطير التي لا يزال لها وقع كبير في النفوس وتتناقلها الألسن وتتلى على المنابر وتسجل في الكتب[٣].

=وليس هذه الرجال الذين أسند بعضهم عن بعض إلّا أسماء مخترعة لم يكن قط بإزائها أشخاص في الخارج، فمن هو جذعان بن نصر ومحمد بن أبي سعدة ومحمد بن حمويه وأبو عبد الله الرنيني، ولم يذكرهم أحد ممن ذكر الرجال ولا يعرفهم أحد من العلماء وليس أسماؤهم في فهرست مؤلفي الكتب إلّا عمر بن أذينة وهو من الرجال المشهورين، أما غيره فالصحيح أنهم موجودات وهمية اخترعها أحدهم لئلّا يكون الخبر مجردًا عن الإسناد»، حاشية الوافي، ج٢١، ص١٠٧.

(١) من القصص الخرافية المحاكة حول شخصية رسول الله ﷺ: ما ذكر المؤرخون من قصة شق الصدر في صغره، وقصة الغرانيق العلى، وغيرها.

(٢) القصص الخيالية حول شخصية الإمام علي عليه السلام وشجاعته كثيرة جدًا.

(٣) لقد لاحظنا في بعض ما كتبناه أن كتاب المنتخب للطريحي، مليء بالقصص الخيالية المرسلة إرسالًا دون سند أو إشارة إلى مصدر، ومنها خبر الطير الذي تمرّغ بدم الحسين عليه السلام ثم طار إلى المدينة المنورة وهو ينوح ويبكي، وتقاطرت منه بعض نقاط الدم على امرأة يهودية مصابة بالجذام والعمى فشفيت من ذلك، وعلى أثر ذلك أسلم أبوها وخمسمائة من قومها، راجع: الإمام الحسين مصلحًا وثائرًا، ص٢٤٩. وراجع: فقه الشعائر والطقوس، ص٢٠٧.

٢ ـ بين الخرافة والكرامة[١]

ولرب قائل يقول: ألا يعدّ الاعتقاد بمبدأ الكرامة والإعجاز هو أكبر باب لترويج الخرافات ونشرها بين المسلمين.

وفي التعليق على ذلك نقول: إنّ من آمن بالقرآن ومنزِله والمرسَل إليه لا يسعه إنكار مبدأ الكرامة فضلًا عن المعجزة، فقد نصّ القرآن الكريم على العديد من الكرامات التي جرت على أيدي بعض أولياء الله تعالى، كما في إحضار عرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام النبي قبل أن يرتد إليه طرفه، من قبل من آتاه الله علمًا من الكتاب، وقد حدثنا أيضًا عن كرامة حصلت للسيدة مريم العذراء عليها السلام، وهي إنزال الرزق عليها من السماء، الأمر الذي أثار تعجب نبي الله زكريا عليه السلام، وكذلك الحال في كرامة حملها للسيد المسيح عليه السلام دون زواج، وهي من أعظم الكرامات التي تتجلى فيها قدرة الله تعالى.

بيد أنّ الأمر الذي علينا أن نؤكد وننبه عليه هنا أنّ الكرامة بما تعنيه من خرق لقوانين الطبيعة ونواميسها، ـ كما هو الحال في المعجزة ـ تمثل استثناءً في حركة السنن الطبيعية والقوانين الحاكمة على النظام الكوني برمته، واستثناءٌ كهذا لا يحصل اعتباطًا ولا جزافًا بل لا بدّ من حكمة موجبة ومصلحة قوية تفرض ذلك.

والكرامة في هذا الجانب حالها حال المعجزة[٢]، وحيث كانت المعاجز لا يجريها الله تعالى على يدي الأنبياء والرسل عليهم السلام إلّا في حالات خاصة واستثنائية، وذلك عندما تقتضي حركة الرسالة وما تواجهه من تحديات حصول الإعجاز، تثبيتًا للنبوة، وإقامة للحجة على الكافرين، فكذلك الحال في الكرامات، فإنها لا تجري جزافًا، وقد حدثنا القرآن الكريم أن الله تعالى ما كان ليستجيب لكثير من المعاجز الاقتراحيّة التي

(١) في كتاب تحت المجهر، ص١٣١ وما بعدها تكلمنا بإسهاب عن الكرامات والخرافات.
(٢) في الفرق بين الكرامة والمعجزة، راجع: المصدر نفسه، ص١٣٣.

يطلبها المعارضون للأنبياء عليهم السلام، وعلى سبيل المثال: فقد رفض المشركون الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتسليم بنبوته إلّا إذا جاءهم بمعجزة خارقة، من قبيل تفجير ينبوع من الأرض، أو إسقاط السماء عليهم كسفًا، أو أن يكون له بيت من زخرف، أو يرقى إلى السماء، جاءهم الجواب الإلهي بنفي الاستجابة لطلباتهم، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء ـ ٩٣]، لأن الله تعالى لا يستجيب للناس إلّا عندما تتحقق المصلحة الموجبة لذلك.

يقول السيد محسن الأمين رحمه الله (١٣٧١هـ) تعليقًا على كرامة مزعومة حدّثه بها بعض الناس: «إنّ فضائل أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم لا يشك فيها أحد، ولكنّ كثيرًا من الكرامات التي تنقل على ألسنة الناس هي مكذوبة، لأن الكرامة لا تأتي عفوًا أو متى شاءها الإنسان، وعلى يد كل أحد، ومع كل مناسبة، وإنما تكون عند موجب قوي يقتضيها..»[1].

٣ ـ الإسلام ثورة في وجه الخرافات

ونحن عندما نتدبر في رسالة الإسلام وتعاليمه ونرجع إلى نصوصه الأصيلة فلا نبالغ بالقول إنها مثّلت ثورة في وجه كل الفكر الخرافي ورفضًا لكل الأساطير التي انتشرت في الجاهلية، ومن أبرز ما جاء به الإسلام على هذا الصعيد:

أ ـ اعتماد الحجة والبرهان، وذلك بدل الظنون والأوهام، فلم يقبل الإسلام بأي أطروحة فكرية أو سلوك اجتماعي لا يستند على حجة تدعمه، قال تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة ـ ١١١]، ورفض بناء الأفكار على أساس الظن، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء ـ ٣٦]، ودعا إلى الحجاج والحوار مع الآخرين، على أساس الأدلة القاطعة، ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران ـ ٦٦].

---

(١) رحلات السيد محسن الأمين، ص١٤٥.

ب ـ رفض الأفكار المُصادمة للحقائق العلمية، إنّ التأكيد القرآني على مرجعيّة الحجج العقليّة والبراهين العلمية هو إعلان قطيعة مع كل الفكر المعتمد على الخرافة والأوهام، وقد أعلنها النبي ﷺ بشكل واضح لا لبس فيه، أنه يرفض خرافة الربط بين كسوف الشمس وموت بعض البشر، حيث إنه عندما كسفت الشمس يوم وفاة ولده إبراهيم، وقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، وقف ﷺ مصححًا لهم ومقدمًا قاعدة في غاية الأهمية على هذا الصعيد، قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»[(١)]. ونظيره ما رواه أبو معاوية الضرير وغيره عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: «أتى النبي عليه الصلاة والسلام رجل من أهل الكتاب، فقال: يا أبا القاسم أَبَلَغَك أن الله يحمل السماوات على إصبع والأرض على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع؟ فضحك ﷺ من قوله، وأنزل الله سبحانه عقيب ذلك ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾»[(٢)]، فإنّ ضحكه ﷺ معناه أنّ الرجل يعتقد أنّ هذه المخلوقات على أصبع بالمعنى الحقيقي والحسي، وهذا بالإضافة إلى منافاته للعقيدة التي تنزّه الله عن التجسيم فإنّه ينافي الحقائق العلمية التي تبرهن أنّ هذه المخلوقات تحكمها القوانين التي من صنع الله تعالى. ومن أبواب الخرافة الكبيرة التي أوصدها الإسلام بكل قوة: باب الكهانة وزعم التواصل مع الجن، وباب التنجيم وزعم المعرفة بأحوال الناس لجهة السعادة والشقاء وغيرها من خلال معرفة الأوضاع الفلكية وحركة النجوم.

ت ـ التفكيك بين التخصصات، فلكل علم أهله الذين يرجع إليهم فيه،

(١) هذا المعنى مروي في كتب الشيعة، انظر: الكافي، ج٣، ص٢٠٨، وفي كتب السنة، انظر: صحيح البخاري، ج٢، ص٣٠.

(٢) المجازات النبوية للشريف الرضي، ص٣٥٠.

ولكل اختصاص خبراؤه، فلا يرجع في قضايا الطب أو الفلك مثلًا إلى الفقيه، ولا يرجع في قضايا الفقه إلى الشاعر، وهكذا، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل ـ ٤٣]، ولعل أسوأ انتكاسة شهدها تاريخنا هي محاولة اختصار أكثر العلوم بعلم واحد، وجعل الدين مرجعية لكل شيء، فأصبح رجل الدين مرجعًا للفتيا، ومرجعًا للمرضى والحال أنّ النبي ﷺ نفسه أُرسل هاديًا وليس طبيبًا، ولا فلكيًا، وكان إذا أصابه أو أحد أصحابه مرض أمر بالرجوع إلى أهل الطب في زمانه. إن هذا التفكير شكل نكسة كبيرة لمنطق العلم، وهيأ الأرضية الملائمة لتنتشر الدكاكين باسم العلم الروحاني وغيره، وينتعش سوق أولئك الذين يعتاشون على أوجاع الناس.

إنّ بناء العقل على أسسٍ علمية وعقلية هو الحجر الأساس في مواجهة الخرافة، وإن تفكيك العقل الخرافي لا يكون إلّا ببناء العقل النقدي.

٤ ـ قليل الحق يغني عن كثير الباطل

وربما فكّر بعض العلماء عند تسجيله لبعض القصص الخرافية من أمثال قصّة المعمر المغربي الآتية بأنّها إنْ لم تصلح لإثبات فكرة دينية وعقدية فلا أقل من أنها تصلح لتأييدها ولو بمستوى معيّن من التأييد، وبتضافر المؤيدات يحصل الوثوق بالفكرة، وفقًا لمبدأ حساب الاحتمال.

لكننا لا نعتقد بصحة هذا المنحى في التفكير ولا يقنعنا هذا الأسلوب في الاستدلال، لا لأن القضايا الخرافية لا تشكل قيمة احتمالية ذات أهمية في حساب الاحتمال فحسب، بل لأنّ ترويج هذه القصص لها مضار وسلبيات كثيرة، ومن أهمها أنه سوف يهيئ العقل على تقبل الخرافيات. على أننا نعتقد أن القضايا المحقة تحتاج إلى أن يستدل عليها بأدلة محكمة، ولا يمكن إثباتها بطرق ملتوية وضعيفة، وعلى صاحب الحق أو من يرى نفسه كذلك أن يبذل جهده ليقدّم آراءه بطريقة مقنعة ويدافع عن أفكاره

ببراهين متينة، وهذا ما نتعلمه من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فإنهم كانوا يرفضون الأخذ بالوسائل الباطلة أو المشوبة بالباطل لأجل إثبات الحق، ففي الحديث الذي رواه يونس بن يعقوب أحد تلامذة الإمام الصادق عليه السلام، نجد الإمام عليه السلام بعد استماعه للمناظرة التي جرت بين جماعة من أصحابه وبين رجل شامي، يقيّم أداء أصحابه في الحوار، فيطري على أحدهم ويصوب أداء آخر، ويعطي أحدهم قاعدة ذهبية في قضية الحوار والجدال، وهي قوله لأحدهم: «**إنّك تمزج الحقّ مع الباطل، وقليل الحقّ يكفي عن كثير الباطل**»[١]، فهو عليه السلام يريد القول: إنّ الحق يأبى أن يظهر أو يعلو عن طريق الباطل، لأنّ ذلك يلوث حقانيته ويشوه نقاءه.

ويروى هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قليل الحقّ يدفع كثير الباطل، كما أنّ القليل من النّار يحرق كثير الحطب**»[٢].

لهذا فليست الأهميّة في أن تكثر من تحشيد ما قد يؤيد فكرك في جانب معيّن، مع أنّه قد يبعّد عن عقيدتك ودينك وفكرك من جوانب أخرى، وإنما تكمن الأهميّة في أن تعمل على إثبات ما تتبناه من خلال الأدلة الصافية من الإشكال ولو اقتصر الأمر على وجه واحد للإثبات، فالعبرة ليست بكثرة الوجوه بل بمتانتها.

مفارقة غريبة

ومن أغرب المفارقات التي لا بد أن نسجلها في المقام، أنّ الكثير من العلماء في الوقت الذي نجدهم قد رفضوا التسامح والتساهل في الحقل الفقهي بالاعتماد على روايات ضعيفة أو مصادر غير موثوقة، حتى أنّ بعضهم رفض تسجيل تلك الروايات في كتب الحديث، مع أن البعض قد

(١) الكافي، ج١، ص١٧٢.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٣٧١.

يزعم أنّها صالحة للتأييد، وهذا أمر يُشهد لهم به، لكنّهم في الوقت عينه لم يعتمدوا الطريقة عينها في المجال العقيدي والتاريخي، وإنما تساهلوا وأدرجوا في مؤلفاتهم بعض الأخبار المأخوذة من تلك المصادر التي لم تثبت صحتها عندهم.

ومن ذلك على سبيل المثال نجد أنّ الحر العاملي (١١٠٤هـ) لم يعتمد على كتاب «مشارق أنوار اليقين» للحافظ رجب البرسي في موسوعته الحديثية المعدة لاستنباط الحكم الشرعي، عنيت بها كتاب «وسائل الشيعة»، مدرجًا كتاب البرسي المذكور في عداد ما أسماه: «كتبٌ غير معتمدة، لعدم العلم بثقة مؤلفيها، وثبوت ضعف بعضهم»[١]، ولكنه في كتبه الأخرى ذات الطابع غير الفقهي نقل منه[٢]، وما يذكر لهم من عذر أنّ ذكرها في الحقل العقائدي ليس لغرض الاستدلال وإنما لغرض التأييد، أو لأنها تشكل قرائن احتمالية تسهم في حصول التواتر[٣].

(١) وسائل الشيعة، ج٣٠، ص٥٩.

(٢) منها كتابه الجواهر السنية، حيث نقل منه كثيرًا، ص١٥ ـ ٩٦ ـ ١١٣ ـ ١١٦ وغيرها. ومنها كتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج١، ص٢٧.

(٣) كما صرح بذلك الحر العاملي نفسه، راجع: إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج١، ص٣٨.

الفصل الثاني

قصة المعمر المغربي وارتباطها بالمعارف الإسلامية

- خلاصة القصة
- ارتباطها بالمعارف الإسلامية

أولًا: خلاصة القصة

نحن أمام قصة مثيرة وفي منتهى الغرابة وملأى بالعناصر الإعجازية انتشرت في بداية القرن الرابع الهجري، تدور فصولها حول شخصيّة رجلٍ أعجوبة بكل معنى الكلمة، فهو طبقًا لدعواه قد ولد في اليمن قبيل بعثة النبي ﷺ، ومن ثمّ توجّه وهو في عمر الشباب برفقة أبيه وعمّه قاصدين مكّة المكرمة لحجّ بيت الله الحرام، ومن ثمّ زيارة المدينة المنورة للقيا النبي ﷺ.

وفي الطريق إلى الحجاز يتيه القوم ويضيعون في الصحراء، وينفذ ماؤهم حتى كادوا أن يهلكوا من العطش، إلى أن منّ الله تعالى عليهم وأنقذهم مما هم فيه، حيث اهتدى الشاب أثناء تفتيشه عن الماء إلى عين جارية فأقبل مع عمه وأبيه عليها، فوجدوا عندها شخصين، وقد أقدم هذان الشخصان بتقديم الماء للأب والعم فتلكآ عن تناوله رغم ما بهما من عطش، فقدّماه للشاب، فتناول الماء دون تلكؤ، وهنا أفصح الرجلان عن هويتهما وعرفا بنفسيهما ليتبين أنهما الخضر وإلياس، وأنّ العين التي سقياه منها هي عين الحياة ومن شرب منها فسوف يرزقه الله العمر المديد! وأخبراه أنه سيظّل حيًا إلى حين ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، كما أخبراه ببعض تفاصيل رحلته إلى الحج وزيارة النبي ﷺ، ومن أبرز ما أخبراه به أنّه لن يدرك رسول الله ﷺ على قيد الحياة، وأن عمّه سيموت في الطريق.

ويواصل الشاب المسيرة ويموت عمه أثناء المسير، ويصل المدينة المنورة ليجد أن النبي ﷺ قد ارتفع إلى الرفيق الأعلى، فيلتقي بأصحابه،

ويتعلّق قلبه بالإمام علي عليه السلام، فيلتحق به، ويحضر معه بعض معاركه. وقد أصابته في إحدى تلك المعارك شجّة في جبهته وبقيت بادية عليه رغم مرور السنين، ثمّ وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام يلتحق الرجل بالإمام الحسن عليه السلام، ثم بأخيه الحسين عليه السلام، ويحضر معه معركة كربلاء، وينجو منها.

بعد نجاته من معركة كربلاء يحصل تحوّل جذري في حياته، حيث يفرّ من بني أمية باتجاه المغرب العربي، فيستوطن مدينة طنجة أو مدينة أخرى من مدن المغرب، ويعيش فيها مع أبنائه وأحفاده وأحفاد أحفاده.

وفي مطلع القرن الرابع الهجري يقصد هذا الرجل حج بيت الله الحرام، فيأتي مكة المكرمة بصحبة بعض أحفاده ويجتمع عليه الناس في مكة وفي غيرها من الحواضر الإسلامية ليستمعوا إلى قصته!!

ولا تنتهي فصول القصة عند هذا الحد، بل يعود المعمر المغربي للظهور مجددًا بعد ما يقرب من ستة قرون، وتحديدًا في منتصف القرن الحادي عشر الهجري، ولكنه هذه المرة يظهر في الشام، ويلتقي به أحد علماء الشيعة، وهو الشيخ محمد الحرفوشي، فيأنس به ويسمع منه ويستجيزه في نقل الحديث!

ثانيًا: ارتباط القصة بالمعارف الإسلامية

إنّ هذه القصة ليست قضية عابرة، بل إنّها ذات أهمية لما لها من تأثير واسع امتد إلى العديد من المعارف الإسلامية. وهذا في الواقع يعدّ أحد الأسباب التي دفعتنا إلى دراستها وتحري صدقيتها. والمعارف التي لها صلة بهذه القصّة هي:

١ ـ علم العقيدة، فإنّ هذه القصة صارت تذكر في عداد القرائن على إمكانية ومعقولية طول عمر الإنسان، ردًا على استبعاد ذلك في حق الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف[1]. كما أنّ القصة فيها العديد من خوارق العادات والعجائب من قبيل طول العمر، وما حصل في عنفقة (العنفقة: الجزء الأسفل من الشفة) المعمَّر من تبدل مستمر في لون شعرها، إلى غير ذلك مما ستعرفه عند سرد الروايات الآتية.

---

(١) ذكر الكراجكي هذه القصة لأجل هذا الغرض، قال: «فهذا طرف من ذكر المعمرين، ومختصر مما رواه أصحاب الأثر وعلماء المصنفين قد أوردته لك زيادة على ما تقدم واثباتا للحجة على من يفهم وإذا جاز ان يعمر الله تعالى جماعة من خلقه من أنبيائه عليهم السلام وأوليائه والمشركين له ويمدهم بصحة الأجساد وثبوت العقل والرأي فما الذي ينكر من طول عمر صاحب الزمان عليه السلام»، كنز الفوائد، ص٢٦٢، وذكر العلامة المجلسي هذه القصة في أول الباب الذي عقده تحت عنوان: «ذكر أخبار المعمرين لرفع استبعاد المخالفين عن طول غيبة مولانا القائم صلوات الله عليه»، انظر: بحار الأنوار ج٥١ ص٢٢٥، وذكرها السيد نعمة الله الجزائري للغاية عينها في الأنوار النعمانية، ج٢ ص٤، وهكذا أوردها المحدث النوري للغرض عينه في كتابيه: النجم الثاقب ٢ ص٢٧٥، وجنة المأوى المدرج في الجزء الثالث والخمسين من بحار الأنوار، ص٢٧٨.

٢ ـ علما الحديث والفقه، فإنّ بعض الأخبار المتضمنة لأحكام شرعية قد رويت بالإسناد إلى المعمر المغربي عن أمير المؤمنين عليه السلام، والأخبار المنقولة عنه تنتهي إلى أبي بكر المفيد الجرجرائي، الذي نقل عنه اثني عشر حديثًا[١]. وقيل: ثلاثة عشر[٢] وقيل: خمسة عشر حديثًا[٣]، وقد تسللت هذه الأخبار إلى كتب الحديث وأصبحت مستندًا لبعض الفتاوى الفقهية، وسوف نعود إلى دراسة الأحاديث المذكورة.

٣ ـ علما الرجال والدراية، فقد ذكر بعض العلماء هذا المعمّر في عداد الرواة، وتفاخروا بأنهم يمتلكون من خلاله سندًا عاليًا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو السند الذي يمر بأبي الدنيا المعمر المغربي[٤]. مع أنه يفصلهم عنه صلى الله عليه وآله قرون طويلة ومتمادية، كما أنّ قصته مليئة بأسماء الأشخاص الذين لهم دخل في رواياته.

٤ ـ وأضفْ إلى ذلك أنّ القصّة لها صلة وثيقة بالبحث التاريخي، وبالأخص فيما يتصل ببعض الأحداث التي حصلت في صدر الإسلام، فالمعمّر المذكور ينقل أمورًا حساسة إزاء ما جرى مع الخليفة عثمان بن عفان وكيفية مقتله، وينقل لنا صفات الأشخاص وملامحهم[٥]. وكان له ـ

---

(١) يقول الكراجكي: «حدّثني القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم السلمي الحرّاني، وأبو عبد الله الحسين بن محمد الصيرفي البغدادي، قالا جميعًا: أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد المعروف بالمفيد لقراءتي عليه بجرجرايا. وقال الصيرفي: سمعت منه إملاءً سنة خمس وستين وثلاثمائة، قال: حدّثنا علي بن عثمان بن الخطّاب بن عوام البلوي من مدينة بالمغرب يقال لها: مزيدة يعرف بأبي الدنيا الأشجّ المعمّر، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «كلمة الحق ضالّة المؤمن حيث وجدها فهو أحقّ بها..»، انظر: كنز الفوائد، ص٢٦٥. وقد نقل اثني عشر خبرًا بهذا السند.

(٢) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٥. ويقول العسقلاني عن الأحاديث التي حدّث بها أنها «معروفة من رواية غيره». المصدر نفسه.

(٣) تاريخ بغداد، ،ج١١ ص٢٩٧.

(٤) انظر: تكملة أمل الآمل للسيد حسن الصدر، ص٢٣٢.

(٥) ينقلون عنه قوله: «ورأيت عائشة طويلة بيضاء بوجهها أثر جدري وسمعتها تقول لأخيها=

حسب فصول القصة ـ حضور في معارك الإمام علي عليه السلام مع خصومه، ومن ثم حضر مع الإمام الحسن عليه السلام، وأخيرًا شهد معركة كربلاء إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام قبل أن يستقر في المغرب العربي.

٥ ـ هذا ناهيك عن أنّ لها صلة بجغرافيا البلدان الإسلامية، لأنها تنص على وجود مناطق معينة كمنطقة «الظلمات» أو المنطقة التي تضم «عين الحياة»، كما يرد فيها اسم مجموعة من البلدان، من قبيل طنجة ومزيدة المغربيتين، حسب الرواية، وكذلك اسم باهرت العليا، وغير ذلك مما ورد فيها من وصف لبعض تفاصيل المدن وتنظيمها وبيان أزقتها ونمط الحياة فيها.

وعلى أهمية الجوانب المتقدمة، يبقى الجانب الأول منها هو الأهم، إذ إنّ من الخطورة بمكان أن يتم الاستدلال على القضايا العقائدية بأدلة أو شواهد واهية، فإن ذلك مدعاة لاستغلال الخصوم المعارضين وإثارة شكوك المؤيدين، وقضية كقضية المهدي عجل الله فرجه الشريف لا تحتاج إلى هذه القصة مع ما فيها من وهن وإشكالات سيأتي بيانها.

=محمد يوم الجمل أحرقك الله بالنار في الدنيا والآخرة وسمعت عثمان يقول لمحمد بن أبي بكر وقد اخذ بلحيته خل عنها فقد كان أبوك يكرمها. قال ورأيت الأشتر النخعي وقد طعن عثمان بسهم في نحره»، انظر: لسان الميزان، ج٤، ص١٣٦.

الفصل الثالث

القصة
كما روتها مصادر الفريقين

- في مصادر الشيعة
- في مصادر السنة

أولًا: في مصادر الشيعة

قصة المعمر المغربي هذه مروية في عدة مصادر شيعية، ورواياتها أربع، أما المصادر فهي:

١ ـ كتاب «كمال الدين وتمام النعمة» للشيخ الصدوق، وفي هذا المصدر رويت بطريقين، وبينهما بعض وجوه الاختلاف.

٢ ـ كنز الفوائد، للعلامة الكراجكي ويرويها بسند آخر.

٣ ـ بحار الأنوار للعلامة المجلسي، وهو ينقلها عن مجالس الشيخ الطوسي، لكننا لم نعثر عليها في المجالس المطبوع، وهي تختلف اختلافًا جوهريًا عما جاء في سائر المصادر.

وفيما يلي ننقل القصة من مصادرها الثلاثة، ورواياتها أربع:

الرواية الأولى: روى الشيخ الصدوق قائلًا: «وأخبرني أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فيما أجازه لي مما صح عندي من حديثه، وصحّ عندي هذا الحديث برواية الشريف أبي عبد الله محمد بن الحسن بن إسحاق بن الحسين (الحسن) بن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: حججت في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة وفيها حجّ نصر القشوري (العشوري) صاحب المقتدر بالله ومعه عبد الله بن حمدان المكنى بأبي الهيجاء فدخلت مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ذي القعدة، فأصبت قافلة المصريين وفيها أبو بكر محمد بن علي الماذراثي (المادراني) ومعه رجل من أهل المغرب وذكر أنّه

رأى [رجلًا من] أصحاب رسول الله ﷺ فاجتمع عليه الناس وازدحموا وجعلوا يتمسحون به وكادوا يأتون على نفسه فأمر عمي أبو القاسم طاهر بن يحيى رضي الله عنه فتيانه وغلمانه، فقال: أفرجوا عنه الناس، ففعلوا وأخذوه فأدخلوه إلى دار ابن أبي سهل الطفي، وكان عمي نازلها، فأدخل وأذن للناس فدخلوا، وكان معه خمسة نفر [و] ذكروا أنهم أولاد أولاده فيهم شيخ له نيف وثمانون سنة، فسألناه عنه، فقال: هذا ابن ابني، وآخر له سبعون سنة فقال: هذا ابن ابني، واثنان لهما ستون سنة أو خمسون سنة أو نحوها وآخر له سبع عشرة سنة، فقال: هذا ابن ابن ابني ولم يكن معه فيهم أصغر منه، وكان إذا رأيته قلت: هذا ابن ثلاثين سنة أو أربعين سنة، أسود الرأس واللحية، شاب نحيف الجسم أدم، ربع من الرجال خفيف العارضين، [هو] إلى القصر أقرب، قال أبو محمد العلوي: فحدثنا هذا الرجل واسمه علي بن عثمان بن الخطاب بن مرة بن مؤيد بجميع ما كتبناه عنه وسمعنا من لفظه، وما رأيناه من بياض عنفقته[1] بعد اسودادها ورجوع سوادها بعد بياضها عند شبعه من الطعام.

وقال أبو محمد العلوي رضي الله عنه: ولولا أنّه حدّث جماعة من أهل المدينة من الأشراف والحاجّ من أهل مدينة السلام وغيرهم من جميع الآفاق ما حدثت عنه بما سمعت وسماعي منه بالمدينة وبمكة في دار السهميين في دار [الدار] المعروفة بالمكبرية وهي دار علي بن عيسى بن الجراح، وسمعت منه في مضرب القشوري ومضرب الماذرائي عند باب الصفا، وأراد القشوري أن يحمله وولده إلى مدينة السلام إلى المقتدر، فجاءه أهل مكة فقالوا: أيد الله الأستاذ إنا روينا في الأخبار المأثورة عن السلف أنّ المعمر المغربي إذا دخل مدينة السلام فنيت وخرجت وزال الملك فلا تحمله وردّه إلى المغرب. فسألنا مشايخ أهل المغرب ومصر

(١) العنفقة: الشعر الذي في الشفة السفلى.

فقالوا: لم نزل نسمع به من آبائنا ومشايخنا يذكرون اسم هذا الرجل، واسم البلدة التي هو مقيم فيها طنجة وذكروا أنّه كان يحدثهم بأحاديث قد ذكرنا بعضها في كتابنا هذا. قال أبو محمد العلوي [رضي الله عنه]: فحدثنا هذا الشيخ، أعني علي بن عثمان المغربي ببدء خروجه من بلدة حضر موت، وذكر أنّ أباه خرج هو وعمه محمد وخرجا به معهما يريدون الحج وزيارة النبي ﷺ فخرجوا من بلادهم من حضر موت وساروا أيامًا، ثم أخطأوا الطريق وتاهوا في المحجة فأقاموا تائهين ثلاثة أيام وثلاثة ليال على غير محجة فبينا هم كذلك إذ وقعوا على جبال رمل يقال لها: رمل عالج، متصل برمل إرم ذات العماد.قال: فبينما نحن كذلك إذ نظرنا إلى أثر قدم طويلة فجعلنا نسير على أثرها، فأشرفنا على وادٍ وإذا برجلين قاعدين على بئر أو على عين، قال: فلما نظرا إلينا قام أحدهما فأخذ دلوًا فأدلاه فاستقى فيه من تلك العين أو البئر، واستقبلنا وجاء إلى أبي فناوله الدلو فقال أبي: قد أمسينا، ننيخ[1] على هذا الماء ونفطر إن شاء الله، فصار إلى عمي وقال له: اشرب فرد عليه كما رد عليه أبي، فناولني وقال لي: اشرب فشربت فقال لي: هنيئًا لك إنك ستلقى علي بن أبي طالب عليه السلام فأخبره أيّها الغلام بخبرنا وقل له: الخضر وإلياس يقرئانك السلام، وستعمر حتى تلقى المهدي وعيسى بن مريم عليه السلام فإذا لقيتهما فأقرئهما منا السلام، ثم قالا: ما يكونان هذان منك؟ فقلت: أبي وعمي، فقالا: أما عمك فلا يبلغ مكة، وأما أنت وأبوك فستبلغان ويموت أبوك وتعمر أنت ولستم تلحقون النبي ﷺ لأنه قد قرب أجله.ثم مرا فوالله ما أدري أين مرا في السماء أو في الأرض فنظرنا فإذا لا بئر ولا عين ولا ماء، فسرنا متعجبين من ذلك إلى أن رجعنا إلى نجران فاعتل عمي ومات بها وأتممت أنا وأبي حجنا ووصلنا إلى المدينة فاعتل أبي ومات، وأوصى بي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذني وكنت

(١) أي نقيم.

معه أيام أبي بكر وعمر وعثمان وأيام خلافته حتى قتله ابن ملجم لعنه الله.وذكر أنه لما حوصر عثمان بن عفان في داره دعاني فدفع إلي كتابًا ونجيبا وأمرني بالخروج إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وكان غائبا بينبع في ضياعه وأمواله فأخذت الكتاب وسرت حتى إذا كنت بموضع يقال له: جدار أبي عباية فسمعت قرآنا فإذا أنا بعلي بن أبي طالب عليه السلام يسير مقبلا من ينبع وهو يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون ـ ١١٥] فلما نظر إليّ قال: يا أبا الدنيا[1] ما وراءك؟ قلت: هذا كتاب أمير المؤمنين عثمان، فأخذه فقرأه فإذا فيه: فإن كنت مأكولًا فكن أنت آكلي وإلّا فأدركني ولما أمزق، فإذا قرأه قال: بر سر[2] فدخل إلى المدينة ساعة قتل عثمان بن عفان فمال عليه السلام إلى حديقة بني النجار وعلم الناس بمكانه فجاؤوا إليه ركضا وقد كانوا عازمين على أن يبايعوا طلحة بن عبيد الله، فلما نظروا إليه ارفضوا إليه ارفضاض الغنم يشد عليها السبع، فبايعه طلحة ثم الزبير، ثم بايع المهاجرون والأنصار فأقمت معه أخدمه فحضرت معه الجمل وصفين فكنت بين الصفين واقفا عن يمينه إذا سقط سوطه من يده، فأكببت آخذه وأدفعه إليه وكان لجام دابته حديدًا مزججًا فرفع الفرس رأسه فشجني هذه الشجة التي في صدغي، فدعاني أمير المؤمنين عليه السلام فتفل فيها وأخذ حفنة من تراب فتركه عليها فوالله ما وجدت لها ألما ولا وجعًا! ثم أقمت معه عليه السلام وصحبت الحسن بن علي عليهما السلام حتى ضرب بساباط المدائن، ثم بقيت معه بالمدينة أخدمه وأخدم الحسين عليه السلام حتى مات الحسن عليه السلام مسموما، سمته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي لعنها الله دسا من معاوية.ثم خرجت مع الحسين بن علي عليهما السلام حتى حضرت كربلاء وقتل عليه السلام

(١) هو يؤكد أن الذي سماه بأبي الدنيا هو الإمام علي عليه السلام، انظر: لسان الميزان، ج٤، ص١٣٧.
(٢) رجل بر سر، أي يبر ويسر.

وخرجت هاربًا من بني أمية، وأنا مقيم بالمغرب أنتظر خروج المهدي وعيسى بن مريم عليه السلام.

قال أبو محمد العلوي رضي الله عنه: ومن عجيب ما رأيت من هذا الشيخ علي بن عثمان وهو في دار عمي طاهر بن يحيى رضي الله عنه، وهو يحدِّث بهذه الأعاجيب وبدءِ خروجِه، فنظرت عنفقته قد احمرت ثم ابيضت، فجعلت أنظر إلى ذلك، لأنه لم يكن في لحيته ولا في رأسه ولا في عنفقته بياض، قال: فنظر إلى نظري إلى لحيته وإلى عنفقته، وقال: أما ترون أن هذا يصيبني إذا جعت وإذا شبعت رجعت إلى سوادها، فدعا عمي بطعام فأخرج من داره ثلاث موائد، فوضعت واحدة بين يدي الشيخ وكنت أنا أحد من جلس عليها فجلست معه ووضعت المائدتان في وسط الدار وقال عمي للجماعة: بحقي عليكم إلّا أكلتم وتحرمتم بطعامنا، فأكل قوم وامتنع قوم، وجلس عمي عن يمين الشيخ يأكل ويلقي بين يديه فأكل أكل شاب وعمي يحلف عليه وأنا أنظر إلى عنفقته تسود حتى عادت إلى سوادها وشبع»[1].

الرواية الثانية: الصدوق أيضًا قال: «حدثنا أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصر السجزي قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح الرقي وأبو الحسن علي بن الحسن بن الأشكي ختن أبي بكر قالا: لقينا بمكة رجلا من أهل المغرب فدخلنا عليه مع جماعة من أصحاب الحديث ممن كان حضر الموسم في تلك السنة، وهي سنة تسع وثلاثمائة فرأينا رجلًا أسود الرأس واللحية كأنه شِنٌّ بالٍ، وحوله جماعة هم أولاده وأولاد أولاده ومشايخ من أهل بلده، وذكروا أنّهم من أقصى بلاد المغرب بقرب باهرت العليا وشهدوا [وشهد] هؤلاء المشايخ أنّا سمعنا آباءنا حكوا عن آبائهم وأجدادهم أنا عهدنا هذا الشيخ المعروف بأبي الدنيا معمرًا، واسمه علي بن

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٤٣ ـ ٥٤٧.

عثمان بن خطاب بن مرة بن مؤيد، وذكروا أنه همداني، وأنّ أصله من صنعاء اليمن، فقلنا له: أنت رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال بيده (أومأ) ففتح عينيه وقد كان وقع حاجباه عليهما ففتحهما كأنهما سراجان، فقال: رأيته بعيني هاتين وكنت خادما له، وكنت معه في وقعة صفين، وهذه الشجة من دابة علي عليه السلام، وأرانا أثرها على حاجبه الأيمن، وشهد الجماعة الذين كانوا حوله من المشايخ ومن حفدته وأسباطه بطول العمر، وأنهم منذ ولدوا عهدوه على هذه الحالة. وكذا سمعنا من آبائنا وأجدادنا، ثم إنا فاتحناه وساءلناه عن قصته وحاله وسبب طول عمره؟ فوجدناه ثابت العقل، يفهم ما يقال له ويجيب عنه بلب وعقل، فذكر أنه كان له والد قد نظر في كتب الأوائل وقرأها وقد كان وجد فيها ذكر نهر الحيوان وأنها تجري في الظلمات، وأنّه من شرب منها طال عمره، فحمله الحرص على دخول الظلمات فتحمل وتزود حسب ما قدر أنه يكتفي به في مسيره، وأخرجني معه وأخرج معنا خادمين باذلين وعدة جمال لبون (عليها) روايا وزاد وأنا يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة، فسار بنا إلى أن وافينا طرف الظلمات، ثم دخلنا الظلمات فسرنا فيها نحو ستة أيام ولياليها، وكنا نميز بين الليل والنهار بأنّ النهار كان يكون أضوء قليلًا وأقلّ ظلمة من الليل، فنزلنا بين جبال وأودية ودكوات، وقد كان والدي رضي الله عنه يطوف في تلك البقعة في طلب النهر لأنه وجد في الكتب التي قرأها أنّ مجرى نهر الحيوان في ذلك الموضع، فأقمنا في تلك البقعة أيامًا حتى فني الماء الذي كان معنا واستقيناه جمالنا، ولولا أنّ جمالنا كانت لبونا لهلكنا وتلفنا عطشًا، وكان والدي يطوف في تلك البقعة في طلب النهر ويأمرنا أن نوقد نارًا ليهتدي بضوئها إذا أراد الرجوع إلينا، فمكثنا في تلك البقعة نحو خمسة أيام ووالدي يطلب النهر فلا يجده وبعد الأياس عزم على الانصراف حذرًا على [من] التلف لفناء الزاد والماء، والخدم الذين كانوا معنا ضجروا فأوجسوا التلف على أنفسهم وألحوا على والدي بالخروج من الظلمات فقمت يومًا

من الرحل لحاجتي فتباعدت من الرحل قدر رمية سهم فعثرت بنهر ماء أبيض اللون، عذب لذيذ، لا بالصغير من الأنهار ولا بالكبير، ويجري جريانا لينا فدنوت منه وغرفت منه بيدي غرفتين أو ثلاثة فوجدته عذبا باردًا لذيذًا، فبادرت مسرعًا إلى الرحل وبشرت الخدم بأني قد وجدت الماء، فحملوا ما كان معنا من القرب والأدوات لنملأها، ولم أعلم أن والدي في طلب ذلك النهر وكان سروري بوجود الماء، لما كنا عدمنا الماء وفني ما كان معنا، وكان والدي في ذلك الوقت غائبا عن الرحل مشغولا بالطلب فجهدنا وطفنا ساعة هوية [سوية] على أن نجد النهر، فلم نهتد إليه حتى أنّ الخدم كذبوني وقالوا لي: لم تصدقْ! فلما انصرفت إلى الرحل وانصرف والدي أخبرته بالقصة، فقال لي: يا بني الذي أخرجني إلى هذا المكان وتحمل الخطر كان لذلك النهر ولم أرزق أنا وأنت رزقته وسوف يطول عمرك حتى تملّ الحياة، ورحلنا منصرفين وعدنا إلى أوطاننا وبلدنا وعاش والدي بعد ذلك سنيات ثم توفي رضي الله عنه. فلما بلغ سني قريبا من ثلاثين سنة وكان (قد) اتصل بنا وفاة النبي ﷺ ووفاة الخليفتين بعده خرجت حاجًا فلحقت آخر أيام عثمان فمال قلبي من بين جماعة أصحاب النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فأقمت معه، أخدمه وشهدت معه وقايع، وفي وقعة صفين أصابتني هذه الشجة من دابته، فما زلت مقيما معه إلى أن مضى لسبيله عليه السلام، فألح علي أولاده وحرمه أن أقيم عندهم فلم أقم وانصرفت إلى بلدي. وخرجت أيام بني مروان حاجًا وانصرفت مع أهل بلدي إلى هذه الغاية ما خرجت في سفر إلّا ما كان [إلى] الملوك في بلاد المغرب يبلغهم خبري وطول عمري فيشخصوني إلى حضرتهم ليروني ويسألوني عن سبب طول عمري وعما شاهدت، وكنت أتمنى وأشتهي أن أحج حجة أخرى فحملني هؤلاء حفدتي وأسباطي الذين ترونهم حولي. وذكر أنه قد سقطت أسنانه مرتين أو ثلاثة، فسألناه أن يحدثنا بما سمعه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فذكر أنه لم يكن له حرص ولا همة في العلم في وقت صحبته لعلي بن أبي

طالب عليه السلام، والصحابة أيضًا كانوا متوافرين فمن فرط ميلي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ومحبتي له لم أشتغل بشيء سوى خدمته وصحبته، والذي كنت أتذكره مما كنت سمعته منه قد سمعه مني عالم كثير من الناس ببلاد المغرب ومصر والحجاز، وقد انقرضوا وتفانوا، وهؤلاء أهل بيتي وحفدتي قد دونوه فأخرجوا إلينا النسخة، فأخذ يملي علينا من حفظه»[١].

الرواية الثالثة: ما رواه الكراجكي (ت ٤٤٩هـ) قال: «حدثني الشريف أبو الحسن طاهر بن موسى بن جعفر الحسني بمصر في شوال سنة سبع وأربعمائة قال: أخبرنا الشريف أبو القاسم ميمون ابن حمزة الحسني قال: رأيت المعمر المغربي وقد أتي به إلى الشريف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل سنة عشر وثلاثمائة وأدخل إلى داره ومن معه، وهم خمسة رجال وأغلقت الدار وازدحم الناس وحرصت في الوصول إلى الباب فما قدرت لكثرة الزحام فرأيت بعض غلمان الشريف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل وهما قنبر وفرح فعرّفتهما أني أشتهي أنظره فقالا لي: در إلى باب الحمام بحيث لا يدري بك فصرت إليه ففتحا لي سرا ودخلت وأغلق الباب وحصلت في مسلخ الحمام وإذا قد فرش له ليدخل الحمام فجلست يسيرا فإذا به قد دخل رجل نحيف الجسم ربع من الرجال خفيف العارضين آدم اللون إلى القصر أقرب ما هو أسود الشعر يقدر الإنسان أن له نحوًا من أربعين سنة وفي صدغه أثر كأنه ضربة فلما تمكّن من الجلوس والنفر معه وأراد خلع ثيابه قلت: ما هذه الضربة؟ قال: أردت أن أناول مولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام السوط يوم النهروان فنفض الفرس رأسه فضربني اللجام وكان مدجًا (مستكحمًا) فشجني! فقلت له: أدخلت هذه البلدة قديمًا؟ قال: نعم، وكان موضع جامعكم الفلاني مبقلة[٢] وفيها قبر.

---

(١) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٣٨.

(٢) الظاهر أنه اسم مكان، أي الموضع الذي يزرع أو ينبت فيه البقل.

فقلت: هؤلاء أصحابك؟ فقال: ولدي وولد ولدي، ثم دخل الحمام فجلست حتى خرج ولبس ثيابه فرأيت عنفقته قد ابيضت فقلت له: كان بها صباغ؟ قال: لا ولكن إذا جعت ابيضت وشبعت إذا اسودت، فقلت: قمْ ادخلْ الدار حتى تأكل فدخل الباب».

ثم نقل الكراجكي رواية الصدوق الأولى[١]. ثم قال: «قال أبو بكر المعروف بالمفيد: رأيت أثر الشجّة في وجهه، وقال (أي المعمر): أخبرت أمير المؤمنين عليه السلام بحديثي وقصّتي في سفري وموت أبي وعمّي والعين التي شربت منها وحدي، فقال: هذه عين لم يشرب منها أحد الّا عمّر عمرًا طويلا، فأبشر فانّك تعمّر ما كنت لتجدها بعد شربك منها»[٢].

الرواية الرابعة: في البحار عن «مجالس الشيخ» عن المفيد، عن إبراهيم بن الحسن بن جمهور قال: حدثني أبو بكر المفيد الجرجرائي في شهر رمضان سنة ست وسبعين وثلاثمائة قال: اجتمعت مع أبي عمرو عثمان بن الخطاب بن عبد الله بن العوام بمصر في سنة ست عشرة وثلاث مائة وقد ازدحم الناس عليه حتى رقي به إلى سطح دار كبيرة كان فيها ومضيت إلى مكة ولم أزل أتبعه إلى مكة إلى أن كتبت عنه خمسة عشر حديثًا وذكر أنه ولد في خلافة أبي بكر عتيق بن أبي قحافة وأنه لما كان في زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خرجت ووالدي معي أريد لقاءه فلما صرنا قريبًا من الكوفة أو الأرض التي كان بها عطشنا عطشًا شديدًا في طريقنا وأشرفنا على التلف وكان والدي شيخا كبيرًا فقلت له: اجلس حتى أدور الصحراء أو البرية فلعلي أقدر على ماء أو من يدلني عليه أو ماء مطر. فقصدت أطلب ذلك فلم ألبث عنه غير بعيد إذ لاح لي ماء فصرت إليه فإذا أنا ببئر شبه الركية أو الوادي فنزعت ثيابي واغتسلت من ذلك الماء وشربت

(١) كنز الفوائد، ص٢٦٢ ـ ٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦٥ ـ ٢٦٦.

حتى رويت وقلت: أمضي وأجئ بأبي فإنه قريب مني فجئت إليه فقلت: قم فقد فرج الله عز وجل عنا وهذه عين ماء قريب منا فقام فلم نر شيئًا ولم نقف على الماء وجلس وجلست معه ولم يضطرب إلى أن مات واجتهدت إلى أن واريته وجئت إلى مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ولقيته وهو خارج إلى صفين وقد أخرجت له البغلة فجئت وأمسكت له الركاب فالتفت إلي فانكببت اقبل الركاب فشجني في وجهي شجة. قال أبو بكر المفيد: ورأيت الشجة في وجهه واضحة. ثم سألني عن خبري فأخبرته بقصتي وقصة والدي وقصة العين فقال: عين لم يشرب منها أحد إلّا وعمر عمرا طويلا فأبشر فإنك تعمر وما كنت لتجدها بعد شربك منها وسماني بالمعتمر. قال أبو بكر المفيد: فحدثنا عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالأحاديث وجمعتها ولم تجتمع لغيري منه وكان معه جماعة مشايخ من بلده وهي طنجة. فسألتهم عنه فذكروا أنهم من بلده وأنهم يعرفونه بطول العمر وآباؤهم وأجدادهم بمثل ذلك واجتماعه مع مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأنه توفي في سنة سبع عشرة وثلاث مائة»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٥١، ص٢٦١.

ثانيًا: في مصادر السنة

وقصة المعمر المغربي لم تنفرد بها كتب الشيعة، فقد ذكرتها المصادر السنيّة أيضًا، يقول العسقلاني في ترجمته للمعمر المذكور، بعد جزمه بكذبه: «القصة المذكورة وقعت لنا من رواية أبي نعيم الأصبهاني وغيره»[1]، و«ذكره ابن عتاب في فهرسته»[2].

وقد ذكر ابن عساكر أنّ عدد الذين رووا عن المعمر أربعة، يقول: «روى عنه أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد، والحسن بن محمد بن يحيى ابن أخي طاهر العلوي، وأبو الحسن علي بن جابارة القزويني، وأبو الحسين أحمد بن يحيى الدينوري وقدم دمشق»[3].

وسوف يتبيّن أن الخمسة غير ثقات، بل اتهموا بالكذب.

وحيث نقلنا روايات القصّة من مصادر الشيعة فلا بأس أن ننقل روايتها من بعض مصادر السنة.

قال الخطيب البغدادي: «أخبرنا العبد الصالح أبو بكر أحمد بن موسى بن عبد الله الروشنائي، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد قال: سمعت أبا عمرو عثمان بن الخطاب بن عبد الله البلوي ـ من مدينة بالمغرب ـ يقال لها رندة ـ وهو المعمر ويعرف بأبي الدنيا ـ يقول: ولدت في أول خلافة أبي بكر الصديق، فلما كان في زمن علي ابن أبي

---

(١) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص٣٤٠.

طالب خرجت أنا وأبي نريد لقاءه، فلما صرنا قريبا من الكوفة ـ أو من الأرض التي هو فيها ـ لحقنا عطش شديد في طريقنا أشفينا [أشرفنا] منه على الهلكة، وكان أبي شيخا كبيرًا، فقلت له: اجلس حتى أدور أنا الصحراء والبرية. لعلّي أقدر على ماء أو من يدلني على ماء، أو ماء المطر. فجلس ومضيت أطلب، فلما كنت منه غير بعيد لاح لي ماء فصرت إليه، فإذا أنا بعين ماء وبين يديها شبيه بالبركة أو الوادي من مائها، فنزعت ثيابي واغتسلت من ذلك الماء وشربت حتى رويت، ثم قلت: أمضي فأجيء بأبي فهو غير بعيد، فجئت إليه فقلت له: قمْ فقد فرج الله، وهذا عين ماء قريب منا، فقام ومضينا نحو العين الماء فلم نر شيئًا، فدرنا نطلب فلم نقدر على شيء، حتى أجهد أبي جهدًا شديدًا فلم يقدر على النهوض لشدة ما لحقه، فجلست معه فلم يزل يضطرب حتى مات، فاحتلت حتى واريته. ثم جئت حتى لقيت أمير المؤمنين عليا وهو خارج إلى صفين، وقد أسرجت له بغلة. فجئت فمسكت بالركاب ليركب، وانكببت أقبل فخذه، فنفحني بالركاب فشجني في وجهي شجة. قال المفيد: ورأيت الشجة في وجهه واضحة. قال: ثم سألني عن خبري فأخبرته بقصتي وقصة أبي وقصة العين. فقال: هذه عين لم يشرب منها أحد إلّا عمّر عمرا طويلا، فابشر فإنك معمر، ما كنتَ لتجدها بعد شربك منها. قال المفيد: ثم سألناه فحدثنا عن علي بن أبي طالب بأحاديث، ثم لم أزل أتتبعه في الأوقات وألح عليه حتى يملي عليّ حديثًا بعد حديث، ثم أعود حتى جمعت عنه خمسة عشر حديثًا لم تجتمع عنه لغيري، لتتبعي له وإلحاحي عليه، وكان معه شيوخ من بلده فسألتهم عنه فقالوا: هو مشهور عندنا بطول العمر. حدثنا بذلك آباؤنا عن آبائهم عن أجدادهم. وأنّ قوله في لقياه علي بن أبي طالب معلوم عندهم أنه كذلك»[1].

وروى ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق أخبرنا أبو عبد الله محمد بن

(١) تاريخ بغداد، ج١١، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.

الفضل الفقيه وأبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم وأبو القاسم زاهر بن طاهر قالوا: انا أبو عثمان سعيد بن محمد بن أحمد، انا أبو الحسن علي بن أبي جابارة القزويني بها قال: لقيت علي بن عثمان الخطابي المغربي وسأله بعض الناس كم بعد الشيخ؟ قال: ثلاثمائة سنة إلّا خمس سنين قيل: فكم تذكر من الصحابة؟ قال: كلهم خلا النبي (صلى الله عليه وسلم) وفاطمة، قيل: فتذكر علي بن أبي طالب؟ قال: كيف لا وأنا من تربيته كنت رسولا فيما بينه وبين عثمان فحملني على دابته وهذه الشجة التي ترونها على وجهي أصابتني من ركاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يوم خرج إلى قتال أهل النهروان، قال: وكان بين يديه شيخان قال: هما ابناي وهما شيخان وهو كهل»[1].

ويروي ابن عساكر: أنبأنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة العقيلي، حدثني أبو الفتح أحمد بن علي الجزري في سنة سبع وسبعين وأربعمائة بحلب إملاء في داره، نا القاضي الجليل أبو الحسين أحمد بن يحيى العطار الدينوري بمدينة ميافارقين في سنة ست عشرة وأربعمائة قال: خرجت مع خالي في سنة خمسين وثلاثمائة نطلب الحج حتى إذا كنا بمكة وقضينا حجنا رأيت حلقة دائرة عليها خلق من الناس فسألت بعضهم فقلت من هؤلاء فقالوا: حجاج من المغرب فدنوت منهم فإذا هم يقولون: هذا أبو سعيد الأشج فجلست إليهم حتى صرنا في جماعة كثيرة فقالوا له: حدثنا، قال: نعم، خرجت مع أبي من المغرب من قرية يقال لها مريذة نطلب الحج فوصلنا مصر فبلغنا حرب علي بن أبي طالب مع معاوية بن أبي سفيان فقال لي أبي أقم بنا يا بني حتى نقصد إلى علي بن أبي طالب ونشاهده فلما وصلنا إلى دمشق خرجنا نطلب العسكر

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص٣٤٩.

فبينا نحن سائرون وكان يوما شديد الحر فلحق أبي عطش شديد فقلت له يا أبة اجلس حتى أمضي أرتد لك الماء وأحملك إليه حتى لا تتعب فجلس وقصدت إلى طلب الماء يمينا وشمالا فبينا أنا أدور رأيت عينا شبه البركة فلم أملك نفسي أن خلعت ما كان علي وطرحت نفسي فيها فتغسلت وشربت من مائها وجئت إلى عند أبي فوجدته قد قضى فواريته وانصرفت أطلب أمير المؤمنين فوصلت العسكر ليلا فبت فلما كان من غد جئت فوقفت على باب خيمته فخرج وقدم له بغلة النبي ﷺ فهم أن يركب فأسرعت أن أقبل ركابه فنفحني بركابه أو قال بالمهماز فشجني هذه الشجة وكشف عن رأسه فرأينا أثر الشجة قال فتأخرت عنه فنزل وصاح إلي ادن مني فأنت الأشج فدنوت منه فمر يده علي وقال لي حدثني بحديثك فحدثته ما كان مني ومن أبي إلى أن وصلت العين كيف سبحت فيها وشربت من مائها فقال لي يا بني تلك عين الحياة اللهم عمره اللهم عمره يقولها ثلاثا، وقال: أنت المعمر أبو الدنيا اسمع ما أحدثك به سمعت النبي ﷺ يقول فذكر خمسة أحاديث من جملة الأحاديث التي وقعت إلينا من طريق المفيد عن الأشج»[1].

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص٣٥٠.

الفصل الرابع

حول شخصيّة المعمر المغربي

- المعمر المغربي: اسمه وكنيته
- هل المعمر المغربي شخصية حقيقية أم وهمية؟
- معمر واحد أم معمران مغربيان؟

أولًا: المعمر المغربي وكنيته

المعمر المغربي، بحسب دعواه هو من جيل التابعين، لأنه لم يدرك النبي ﷺ حيًا، وتلقيبه بالمعمر نشأ من طول عمره كما هو واضح، ولقب المعمَّر يلفظ بالفتح على نحو اسم المفعول، بتقدير عمّرَه الله، وقد يلفظ بالكسر على نحو اسم الفاعل، وهي نسبة لا تخلو من مجازية، لأنّ الأعمار ليست بأيدينا، وإنما هي بيد الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ [يس ـ ٦٨]، ولذا نطلب منه تعالى أن يمدّ في أعمارنا، ففي الدعاء عن سيدنا زين العابدين عليه السلام: «**وعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمُرِي بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمُرِي مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ**»[1].

وأما اسمه، فقيل: إنّه علي بن عثمان بن الخطاب بن عبد الله العوام، أو عثمان بن خطاب بن مرة. وقد لُقِّب بالأشج أيضًا، وعرف بهذا اللقب، بسبب الشَّجة التي أصابته في جبهته أثناء المعركة التي شهدها مع الإمام علي عليه السلام وبقي أثرها في جبهته رغم تقدمه في العمر. وفي بعض الأخبار يرد تلقيبه بالأشبح[2]، ولعله تصحيف الأشج، وكني الرجل بـ«أبي الدنيا»، ولعل منشأ ذلك هو عمره الطويل ما جعل له نوع أبوة مجازية للدنيا، وفي رواية ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق أنّ الإمام عليًا عليه السلام هو من قال له:

---

(١) الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق.

(٢) كنز الفوائد، ص٢٦٥.

«أنت المعمر أبو الدنيا»[١]، وسيأتي الاختلاف الكبير في اسمه واسم أبيه واسم جده.

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص٣٥٠.

ثانيًا: هل المعمر المغربي شخصية حقيقية أم وهمية؟

سوف يتضح أنّ أسانيد القصة كلَّها ضعيفة، هذا بالنظر إلى روايات الشيعة، وأما بالنظر إلى ما جاء في مصادر السنة، فإنّ الأمر لا يتوقف عند تضعيف الروايات، بل ثمة رأي ينكر وجود هذه الشخصية من أصل. ينقل العسقلاني عن ابن سليم في تاريخه أنّ «المعمر لا يصح وجوده عند علماء النقد»[1].

أقول: نحن أمام عدة فرضيات إزاء وجود هذه الشخصية أو عدم وجودها:

الفرضية الأولى: أن شخصية المعمر الغربي هي شخصية حقيقية وصادقة، بمعنى أنّ ثمة شخصًا بالفعل جاء إلى المدينة زمن النبي ﷺ فوجده قد ارتحل عن الدنيا فالتحق بأصحابه، وبقي بينهم إلى أن حدثت وقعة كربلاء فهاجر إلى المغرب العربي وهناك تزوج وأنجب، وفي بداية القرن الرابع ذهب إلى حج بيت الله الحرام، والتقى به جمع من أهل الرواية، وحدثوا عنه.

الفرضية الثانية: أنّ المعمر المغربي هو شخصيّة وهمية، وقد اختلقها بعض الدجالين، لسبب أو آخر. وإذا جاء بعد ذلك من ادعى أنّه هو المعمر المغربي، فهذا ناتجٌ عن أنّ القصة بسبب غرابتها تحوّلت إلى مادة للتداول، ولاقت رواجًا في أوساط العامة من الناس، ما أوجد أرضيّة محفزة للبعض

---

(١) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٩.

إلى ادعاء أنّه هو المعمر المغربي، وعندما يخبر الشيخ الحرفوشي ـ مثلًا ـ بعد ما يقرب من ستة قرون من الظهور الأول للمعمر أنّه التقى بشخص أخبره أنه المعمر المغربي، فهذا يدل على بقاء هذه القصة قيد التداول والرواج إلى زمانه، إلى درجةٍ تجرأ معها البعض بادعاء أنه هو المعمر، وصدقه الشيخ الحرفوشي في زعمه، ولا غرو في ذلك، وكم له من نظير، أليس هناك أشخاص متعددون كانوا ولا يزالون يدعون المهدوية أو النيابة الخاصة[١] عن المهدي عجل الله فرجه الشريف؟!

الفرضية الثالثة: أنّ المعمر شخصيّة حقيقية ولكنّها كاذبة، فثمة شخص حقيقي هو علي بن عثمان بن خطاب بن مرة، من أبناء القرن الرابع، خرج على الناس بادعاء أنّه معمر، وقصّ على الناس تلك الحكاية العجيبة، والتي تضمنت أنه شهد مع الإمام علي عليه السلام معاركه، وحضر أيضًا في كربلاء إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام، وقُدِّر له أن يكون من الناجين، ليذهب إلى المغرب العربي ويستقر في بعض مدنه ويتخذها وطنًا له.

والفرضية الأولى باطلة جزمًا، لا لعدم صحة الروايات فحسب، بل لما سيأتي في المحور التالي، مما يدل على كذبها، وعليه يدور الأمر بين الفرضيتين الثانية والثالثة.

وربما رجّح بعضهم الفرضية الثانية حول كون الشخصية غير موجودة واقعًا، استنادًا إلى ما نقل عن منصور بن سليم في تاريخه أنّ «المعمر لا يصح وجوده عند علماء النقد»[٢].

وأضف إليه: أنّه لو كان لهذا الشخص وجود حقيقي لسجلت اسمه صفحات التاريخ، ولذكر في كافة المصادر وكان أشهر من نار على علم، مع أننا لم نجد له ذكرًا لا في مصادر أهل اليمن التي هي موطنه الأصلي،

(١) راجع الملحق رقم ٣.

(٢) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٩.

ولا في مصادر المغاربة حيث يسكن في إحدى مدائنهم وهي طنجة، ولا في سائر مصادر أهل المشرق الذين عرفوه ورأوه وعاش معهم في المدينة! غاية ما هناك أنّ أبا محمد العلوي يقول: إنّ المعمر المذكور قد: «حدّث جماعة من أهل المدينة من الأشراف والحاج من أهل مدينة السلام وغيرهم من جميع الآفاق»، فلمَ يا ترى لم ينقل هذا الخبر سواه؟!

ولكننا نستبعد كون المعمّر شخصية وهمية، ونرجّح الفرضية الثالثة، والتي ترى أن الشخصية حقيقية ولكنها كاذبة، وأما الشاهد المذكور (أعني عدم ذكر الرجل في كافة مصادر أهل اليمن أو المغرب) فهو لا يُثبت أنّ الشخصيّة وهميّة ومختلقة من قبل بعض الناس، لأن من الممكن أنّ ثمة شخصًا حقيقيًا ادعى أمام جمع من الناس أنه معمر، وأنه لا يزال على قيد الحياة منذ زمن النبي ﷺ وأنه حصلت له ومعه كل هذه الأحداث، دون أن يكون الرجل صادقًا في كلامه ولا في إخباره في زعمه أنه من أهل اليمن أو أن موطنه الحالي هو المغرب العربي، وطبيعي أنّ من يحدث كذبًا في الحجاز لن يدعي أنه من أبناء مكة والمدينة، وما جاورهما، لأنّ ذلك في معرض افتضاح كذبه وهكذا من يحدث كذبًا في بغداد لن يزعم أنه عراقي للسبب عينه. والشاهد على ترجيح هذه الفرضية (الثالثة)، اجتماع الروايات على ظهور شخص في القرن الرابع وادّعائه هذه الدعوة، وقد تقدم قول العسقلاني: «طير طرأ على بغداد وحدّث بقلة حياء بعد الثلاثمائة عن علي بن أبي طالب، فافتضح بذلك وكذبه النقادون».

ثالثًا: معمَّر واحد أم معمران مغربيان؟

قد يتوهم أنّ الروايات المتقدمة تتحدث عن وجود معمرين وليس معمرًا واحدًا، وهما:

الأول: هو علي بن عثمان بن خطاب بن مرة، وهذا وارد اسمه في روايتي «كمال الدين» للصدوق وفي رواية «كنز الفوائد» للكراجكي، فقد نقل عن الصيرفي قال: «حدثنا علي بن عثمان بن الخطاب بن عوام البلوي من مدينة بالمغرب يقال لها مزيدة».

الثاني: هو عثمان بن الخطاب بن عبد الله العوام كما ورد اسمه في رواية البحار، وبما يشهد للتعدد وجود تغاير أو اختلاف ليس بين الاسمين فحسب بل وبين القصتين، والتغاير هو ما رجحه السيد عبد الله الجزائري سبط السيد نعمة الله الجزائري[1].

ولكن الظاهر اتحاد القصة والرجل، وهذا ما أصرّ عليه المحدّث النوري، فقال: «ولكنّ الحق اتحادهما أمّا تغاير الاسم، فقد علمت أنّ الكراجكي نقل عن نفس هذا المفيد الجرجرائي أنّ اسمه (علي بن عثمان بن خطاب)، وعليه فيعرف أنّه سقط من مجالس الشيخ أوّل نسب علي، والاختلاف في بعض الأجداد في مثل هذه الحكايات كثير. وإذا كان اختلاف القصّة سببًا لتعدّدها وذلك لأنهم كانوا أربعة أشخاص، فإنّ اتحادهما بالاسم والأب والبلد وشرب ماء الحياة، وشجّ رأسه من دابة أمير

---

(١) انظر كتابه: الإجازة الكبيرة، ص١٠٩ ـ ١١٠.

المؤمنين عليه السلام في معركة صفين أو النهروان، وقرب عصر ملاقاته، وموت أبيه في الطريق وغير ذلك، فإنّها لا يمكنها أن تعطي احتمال تعدّدهما»[١].

وما ذكره المحدث النوري في بيان اتحاد الشخصيّة متين وقوي، وهذا ما تؤكده المصادر السنية، فالعسقلاني في لسان الميزان يؤكد أنّ اسمه عثمان بن خطاب، وينقل أنّ الناس يلقبونه أبا الحسن ويسمونه علي بن عثمان[٢].

(١) النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجّة الغائب (عج) للشيخ حسين الطبرسي النوري، ترجمة: السيّد ياسين الموسوي، ج٢، ص٣٨٨.

(٢) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٥.

الفصل الخامس

القصة
على مشرحة البحث العلمي

- أسانيد القصة في ميزان علم الرجال
- هل يمكن تصديق الرجل والوثوق بقصته؟
- تناقضات القصة وتضارب رواياتها!

١ ـ أسانيد القصة في ميزان علم الرجال

إنّ الروايات التي تنقل قصة المعمر المغربي هي في جملتها موضع شك في أسانيدها، وإليك توضيح ذلك:

أولًا: سند الروايات الشيعية

سند الرواية الأولى: قال الصدوق: «أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فيما أجازه لي مما صح عندي من حديثه، وصحّ عندي هذا الحديث برواية الشريف أبي عبد الله محمد بن الحسن بن إسحاق بن الحسين (الحسن) بن إسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب».

يلاحظ أنّ هذا السند ضعيف من جهة الراوي الأول الذي روى عنه الصدوق، وهو أبو محمد الحسن بن محمد العلوي، قال النجاشي بشأنه: «وروى عن المجاهيل أحاديث منكرة رأيت أصحابنا يضعفونه»[١]. وأما ابن الغضائري فاتهمه بالكذب قائلًا: «كان كذابًا يضع الأحاديث مجاهرة ويدعي رجالًا غرباء ولا يعرفون»[٢].

هذا ولكن الصدوق روى الحديث عن رجل علوي آخر وهو محمد بن الحسن بن إسحاق، وهذا الرجل هو الذي ألف الصدوق لأجله كتاب «من

---

(١) رجال النجاشي، ص٦٤.

(٢) خلاصة الأقوال في علم الرجال، ص٣٣٦.

لا يحضره الفقيه»، متحدثًا عن «أخلاقٍ قد جمعها إلى شرفه من ستر وصلاح، وسكينة ووقار وديانة وعفاف، وتقوى وإخبات»[١].

ولكن لم نجد له توثيقًا واضحًا، وربما كان رجلًا متدينًا ولكنه لا يملك ذهنية تدقق في مصدر الأخبار.

وأمّا الرواية الثانية، فسندها كلّه مجاهيل، ولذا لا يمكن التعويل عليها.

وأما الرواية الثالثة، فسندها هو التالي كما قال الكراجكي: «حدثني الشريف أبو الحسن طاهر بن موسى بن جعفر الحسني بمصر في شوال سنة سبع وأربعمائة قال أخبرنا الشريف أبو القاسم ميمون ابن حمزة الحسني..».

والشريفان المذكوران مجهولان، وفي السند ما يريب، إذ إنّ الكراجكي ينقل أن الشريف طاهر ابن موسى بن جعفر الحسيني حدّثه في مصر سنة ٤٠٧هـ، وهذا الشريف يحدّث أن الشريف ميمون بن حمزة الحسيني قد أخبره برؤيته للمعمر المغربي في سنة ٣١٠هـ أي أن المدّة الفاصلة بين سماعه للقصة وتحديثه بها تقرب من مائة عام وهذا من الأمور البعيدة والغريبة جدًا، لأنّه يعني أن عمر المحدث قد ناف على مائة عام، ولا أدري كيف وثق الكراجكي بخبر هذا حاله؟! اللهم إلّا أن يكون ناقلو قصة المعمر المغربي هم مثله من المعمرين جدًا!

وأما الرواية الرابعة، فينقلها العلامة المجلسي عن مجالس الشيخ الطوسي، ولكننا لم نجد لها ذكرًا في المجالس المذكورة، هذا من جهة ومن جهة أخرى، فإنّ الشيخ الطوسي يرويها عن المفيد وهو يروي عن إبراهيم بن الحسن بن جمهور، وهذا الرجل ليس له ترجمة في كتب الرجال، أجل، قال ابن حجر في لسان الميزان: «إبراهيم بن الحسن بن جمهور أبو الفتح، ذكره أبو جعفر الطوسي في شيوخ الشيعة، وقال: روى

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢.

عن أبي بكر المفيد نسخة [قصة] الأشج يعني عثمان بن الخطاب»[١]. ولكن لا يوجد اسم كهذا في كتب الشيخ، ولهذا فإنّ السيد محسن الأمين علّق عليه قائلًا: «ولم أعلم أين ذكره أبو جعفر الطوسي»[٢]، وأضف إلى ذلك أن إبراهيم بن الحسن بن جمهور يرويها عن المفيد الجرجرائي، وسنذكر عما قليل عدم وثاقته.

ثانيًا: سند الروايات السنية

وأما سند رواية الخطيب البغدادي فهو «أخبرنا العبد الصالح أبو بكر أحمد بن موسى بن عبد الله الروشنائي، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب المفيد».

أما المفيد[٣] وهو محمد بن محمد [أحمد] أبو بكر الجرجرائي[٤]، فهو من رجال الحديث عند أهل السنة، وقد ضعفه علماء الرجال، قال الذهبي: «ليس بثقة»[٥]، و«متهم»[٦] وأشار غيره إلى ضعفه[٧]، وهو فيما يظهر مولع بذكر الغرائب وروايات المعمرين، فقد روى بعض أخبار مكلبة بن ملكان

---

(١) لسان الميزان، ج١، ص٤٤.

(٢) أعيان الشيعة، ج٢، ص١٣٣.

(٣) قال الذهبي: كلمة المفيد «أول ما استعملت لقبا في هذا الوقت قبل الثلاث مائة، والحافظ أعلى من المفيد في العرف، كما أن الحجة فوق الثقة»، تذكرة الحفاظ، ج٣، ص٩٧٩.

(٤) قال السمعاني: «الجرجرائي: بالراء الساكنة بين الجيمين المفتوحتين وراء أخرى بعدها، هذه النسبة إلى جرجرايا وهي بلدة قريبة من الدجلة بين بغداد وواسط وقيل فيها:

على تلك العراص بجرجرايا من الأنواء التحايا

والمنتسب إليها جماعة من أهل العلم»، وعدّ منهم المفيد الجرجرائي، الأنساب، ج٢، ص٤٢.

(٥) ميزان الاعتدال، ج٤، ص٢١١.

(٦) تذكرة الحفاظ، ج٣، ٩٧٩.

(٧) قال ابن ماكولا: «أما المفيد فهو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد الجرجرائي، حدث عن أحمد بن عبد الرحمن السقطي عن يزيد بن هارون وعن جماعة كثيرة يطول شرحهم وقد ضعفوه»، إكمال الكمال، ج٧، ص٢٨٢.

الخوارزمي الذي زعم أنه صحابي حضر عشرين غزوة من غزوات النبي ﷺ، فهو «إما افترى، وإما هو شيء لا وجود له.. وكان في حدود أربعين وماءة»[١].

وأما رواية ابن عساكر الأولى فيكفي في ضعفها أن في سندها ابن جابارة القزويني، وهو متهم بالكذب[٢].

وأما رواية ابن عساكر الثانية ففيها أكثر من شخص مجهول ولم نجد لهم ترجمة في كتب الرجال السنية والشيعة، ومنهم الراوي الأخير لقصة المعمر وهو أحمد بن يحيى العطار الدينوري.

(١) لسان الميزان، ج٦، ص٨٦، قال ابن الجوزي تعليقًا على حديث مكلبة: «هذا حديث باطل، والمتهم به المظفر وكان يزعم أن له مائة وتسعا وثمانين سنة وأشهر، ويزعم أن مكلبة من الصحابة، ولا يعرف في الصحابة من اسمه مكلبة»، الموضوعات، ج٢، ص٤٠.

(٢) قال الذهبي: «علي بن جابارة القزويني...لا شيء. كذاب»، ميزان الاعتدال، ج٣، ص١١٧.

٢ ـ هل يمكن تصديق الرجل والوثوق بقصته؟

لكن بصرف النظر عمّا تقدم من الشك في أصل وجود الرجل، وافتراض أنّه شخصية حقيقيّة وليس وهمية، كما نرجح، ولا سيما أنّ العديد من المصادر تؤكد وجوده ورؤية الأشخاص له ونقلهم الحديث عنه، مما يجعل من الصعب تكذيبهم، ولكن هل نستطيع أن نصدق الرجل أو نثق بالقصة التي ينقلها؟

الجواب: إنّ هناك العديد من القرائن المحيطة بهذه القصة تدفع إلى الشك الكبير في صدق الرجل أو واقعية قصته، وإليك أهم الشواهد والقرائن التي نستند إليها في رأينا هذا:

أولًا: لو كان لهذا المعمر المغربي وجود حقيقي وفعلي في صدر الإسلام وتحديدًا في عصر أمير المؤمنين عليه السلام وولديه الحسنين عليهما السلام وما بعدهما، لكان أشهر من نار على علم، ولذاع صيته في الآفاق، خصوصًا أنّ الروايات الحاكية لقصته ـ ولا سيما الرواية الأولى ـ لا تتحدّث عن شخص هامشي ومنزوٍ عن الناس بل هو شخص له حضوره، فهو قد حضر إلى المدينة والتحق بالإمام علي عليه السلام وكان من أنصاره في مرحلة تولي الخلفاء الثلاثة لأمور الخلافة، ولعب دورًا في الأحداث التي جرت مع الخليفة الثالث عثمان بن عفان عندما حوصر في بيته، وحمل رسالة منه إلى الإمام علي عليه السلام ثمّ بعد تولي علي للخلافة كان معه عليه السلام في كل معاركه، وقد سمع الكثير من أحاديثه، ثم صحب من بعده ولده الإمام الحسن عليه السلام وأقام معه وخدمه، ثم إنه أدرك الحسين عليه السلام وكان معه في كربلاء، ولما

قتل عليه السلام فرّ هاربًا من بني أمية، والسؤال: هل يعقل أن شخصية كهذه تبقى مهملة أو مغمورة ولا يعرف أحدٌ عنها شيئًا، ولا يذكره المؤرخون بإشارة ولا يتطرق إليه الرجاليون الذين ألفوا وأحصوا أسماء الصحابة والتابعين؟! ولا نقل المحدثون شيئًا من أحاديثه التي سمعها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولا ورد اسمه في عداد المعمرين[1]، وإذا كان قد حضر معركة كربلاء فما هو دوره؟ ولماذا لم نجد له ذكرًا في أسماء الرجال الذين حضروا في كربلاء مع أنه قد تمّ أحصاؤهم وقد كان عددهم قليلًا كما هو معلوم؟ وكيف تسنى له الهروب من بين الأعداء المحيطين بالحسين عليه السلام؟ ولماذا هرب ولم يقاتل الظالمين بين يدي الإمام كما فعل بقية الشهداء أو بعد استشهاده عليه السلام؟! ولو فرض أنّه بقي حيًا أو تسنى له الهروب بطريقة أو بأخرى، وفرضنا أيضًا أنه لم يقاتل لمرض أو لأنه وجد أن لا جدوى من القتال، فلمَ لم يتحدث عنه أحد من المؤرخين في عدد الناجين في تلك الوقعة أو المشاركين فيها؟!

وقصارى القول: إنّه لماذا وكيف يبقى هذا الرجل خامل الذكر مدة ثلاثة قرون، ولم يسمع به أحد ولا روى عنه الرواة؟! ثم يظهر فجأة في بداية القرن الرابع ويذهب إلى الحج ويلتقي به الناس ويحدثهم عن خبره وقصته ويروي لهم أحاديث سمعها من أمير المؤمنين عليه السلام! إنّ هذا أمر ليس مجرد أمر مثير ومستغرب جدًا فحسب، بل هو أقرب إلى أن يكون من الخرافات، ولو فرض أنّ التقية فرضت عليه التخفي لأنه نجى من كربلاء فهرب خوفًا من بني أميّة، كما تقول الرواية الأولى، فإن التقية إنما تفرض ذلك لمدة قصيرة، وأما بعد موت يزيد وسقوط دولة بني أمية فكان اللازم أن يظهر ويشتهر خبره بين أهل الحديث والمؤرخين، مع أننا لا نجد له ذكرًا ولا حديثًا!!

---

(١) لقد ألّف أبو حاتم السجستاني (٢٥٠هـ) كتابًا عن المعمرين، وذكر العشرات منهم، ممن ولدوا بعد الإسلام أو في الجاهلية أو قبلها، ولكنه لم يشر إلى المعمر المغربي، راجع: المعمرون والوصايا.

وأضف إلى ذلك أنّ طول عمر الرجل المقرون بدعواه أنّه رأى وشاهد صحابة النبي ﷺ وفيهم علي وولداه عليهما السلام، هو في حد ذاته أمر يدفع عامة المسلمين الذين لديهم عشق للنبي ﷺ وأهل بيته وصحابته إلى أن يشدوا الرحال إليه ويقصدونه بالزيارة بهدف رؤيته والاستماع إلى حديثه. وقد كان الكثير من طلاب الحديث يقطعون المسافات الطويلة لأجل طلب الحديث ذي السند العالي، فأين كان هؤلاء من أهل القرنين الثاني والثالث وما تلاهما من القرون عن الذهاب إلى هذا الرجل العظيم الذي يحدثهم بواسطة واحدة عن رسول الله ﷺ، والواسطة هي الإمام علي عليه السلام؟! إنّ شخصًا كهذا لو كان موجودًا حقًا وصدقه الناس لأصبح محجة للمسلمين، ولقصده الكثيرون لغرض الاستماع إليه أو التبرك به.

ثانيًا: ثمّ إن السؤال الأبرز هو أنه إذا كان الرجل سيظل حيًا إلى آخر الزمان كما تقول بعض الروايات، فأين هو اليوم؟ وأين يسكن وكيف يعيش؟ وأين ذريته؟! فالقصة ـ لو صحّت ـ لا تتحدث عن رجل شبح بل عن شخص حقيقي وهو باقٍ على قيد الحياة إلى آخر الزمان، فبحسب الرواية الأولى فإنّ الخضر وإلياس أخبراه أنه سيعمّر حتى يلقى المهدي وعيسى بن مريم عليهما السلام وأمراه بأن يوصل سلامهما إليهما، كما أنّ الروايات الناقلة لقصته تتفق على أنه يعيش مع الناس حياة طبيعية، فهو ليس متخفيًا، ولا معزولًا، بل هو متزوج وله ذرية وأولاد وهو معروف بين الناس، ويتردد ـ كما في الرواية الثانية ـ على «الملوك في بلاد المغرب» ممن يبلغهم خبره وطول عمره، حيث يحضرونه إليهم ليروه ويسألوه عن سبب طول عمره وعما شاهد، ورجل كهذا لو كان لبان واشتهر لأنه ـ بحق ـ أعجوبة الزمان، وإذا كان من الممكن أن يُجهل خبره في الأزمنة السابقة، فإن خبره في زماننا هذا لا يمكن أن يُجهل، بل لو وجد لعدّ من عجائب الدنيا وغرائبها!

ولم ينقل عن أحد أنّه رآه أو سمع به بعد القرن الرابع الهجري باستثناء ما نقل عن الشيخ محمد الحرفوشي (ت ١٠٥٩هـ) أنّه قد رآه في مسجد في

الشام وصدقه في دعواه، وهو خبر غريب للغاية ولا يمكن تصديقه، كما سيأتي.

ثالثًا: ثمّ إنّ القصّة تقول: إنّ ذكر هذا الرجل ورد في الأخبار والتي نصّت على أنّه إذا دخل دار السلام بغداد فإنّ ذلك سيكون سببًا لفنائها، حيث إنّه لما أراد نصر العشوري (القشوري) «أن يحمله وولده إلى مدينة السلام إلى المقتدر، فجاءه أهل مكة فقالوا: أيّد الله الأستاذ إنّا روينا في الأخبار المأثورة عن السلف أنّ المعمر المغربي إذا دخل مدينة السلام فنيت وخرجت وزال الملك فلا تحمله ورده إلى المغرب». ففي أي أخبار ورد هذا المعنى؟ وأين هي تلك الأخبار؟ وما هذه الكيمياء التي يمتلكها هذا المعمر والتي تجعل من مجرد دخوله إلى بغداد سببًا لفنائها؟!

ومما يشهد لكذب القضية أنّه ـ وحسب رواية الخطيب البغدادي ـ فقد دخل هذا المعمر بغداد ورآه الناس واستمع بعضهم إلى أحاديثه، فلم يحدث لأهلها شيء، يقول الخطيب: «وقدم بغداد بعد سنة ثلاثمائة بعدة سنين»[١].

رابعًا: إنّ القصة تشتمل على العديد من الكرامات وخوارق العادات التي تكتنف حياة هذا الرجل، وهذه الأمور تزيد ريبتنا في صحة القضية، لأنّ أمثال هذه القضايا تحتاج إلى التدقيق في أسانيدها ودوافع الرواة لها، ومن هنا كان إثبات الخوارق والكرامات محتاجًا إلى أسانيد ذات قيمة عددية ونوعية أكثر مما تحتاجه الأخبار الناقلة للأمور العادية، حتى يحصل الوثوق بصدقها، ولا سيما أن القضية تتصل في بعض جوانبها بواحدة من قضايا العقيدة الهامة، عنيت بها قضية المهدي (عج) ومجريات آخر الزمان. والخوارق التي تشتمل عليها القصة هي ـ بالإضافة إلى طول عمر الرجل، وغرابة عثورهم على الماء، حيث رأوا «أثر قدم طويل» فساروا خلفها فوصلوا إلى البئر التي يجلس عليها إلياس والخضر ـ:

---

(١) تاريخ بغداد، ج١١، ص٢٩٦.

١ ـ أنّ الرواية الثانية المتقدمة تحدثنا عن منطقة اسمها الظلمات وفيها نهر الحياة، ويصعب فيها تمييز الليل من النهار، وقد خرج إليها والد ذاك المعمر من بلاد اليمن بغية العثور على ذلك النهر، والسؤال هل إنّ تلك المنطقة حقيقية أم خيالية، وإذا كانت حقيقية فأين هي يا ترى؟ ولمَ لم يعثر عليها سوى هؤلاء الرجال؟! فنحن اليوم غدونا في عصر متقدم وقد تمّ فيه اكتشاف مجاهل الأرض ولم نسمع أنّ أحدًا وصل إلى منطقة بهذه الصفات!

٢ ـ إنّ الروايات الثلاث الأولى تحكي عن أمر غريب يحدث في عنفقة هذا الرجل، وهو أنّه إذا جاع ابيّض شعرها وإذا شبع فإنّه يسوّد، وهذا من عجائب الأمور التي ليس ثمة ما يؤكدها أو يشهد بصحتها، فلا علم ولا تجربة تؤكدان ذلك، فما علاقة بياض شعر العنفقة أو سواده بالأكل والجوع؟! وإذا كان ثمة علاقة فلماذا هي مقتصرة على شعر العنفقة ولا تمتد إلى شعر اللحية بأكمله؟! ولو فرضنا أنّ أحدهم دافع عن ذلك بأنه كرامة والكرامة تمثل استثناءً من القوانين الطبيعية، وهي شاهد صدق الرجل، لكن السؤال أن هذا الأمر الغريب جدًا هو أحد أسباب انتشار القصة واستفاضتها وإطباق الأمة على تصديق الرجل وشد الرحال إليه، وكل ذلك لم يحصل بالمستوى المطلوب.

٣ ـ والأمر الآخر المثير للغرابة هو ما تتضمنه بعض روايات هذه القصة من تفسير طول العمر، وهو أنّ ثمّة نهرًا أو نبعًا أو بئرًا له خاصية فريدة، وهي أن من يشرب منه فإنّه سيحيى حياة مديدة وهو ما يعرف بماء الحياة، ووجود مثل هذا الماء يحتاج إلى بحث وتدقيق مستقل، فالأمر ليس محسومًا وتواجهه العديد من الأسئلة، وإن ورد ذلك في بعض الأخبار[١].

(١) من قبيل ما رواه الصدوق بإسناده عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «إن الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور..»، انظر: تمام الدين وكمال النعمة، ص٣٩٠، وثمّة روايات حول ماء الحياة أو عين الحياة، انظر: بحار الأنوار،=

خامسًا: ومما يثير الريبة في صدقه هو أنه ينقل أشياء لم تثبت صحتها فهو ينقل أنه رأى عليًا عليه السلام «يخلع نعليه ويغسل رجليه ولا يمسح»[١]، في إشارة إلى وضوء الإمام، وهو خلاف ما هو معروف عن ذرية علي عليه السلام من الأئمة عليهم السلام، وينقل أنه رأى السيدة عائشة فكانت بيضاء طويلة بوجهها أثر الجدري، والله أعلم بصحة ذلك، وينقل العسقلاني عن «كتاب الأنساب» للهمداني أنّ المعمر المذكور قد سئل أن ينعت الإمام علي عليه السلام فنعته بغير ما أتى في السيرة[٢]، وهذه من أمارات الكذب.

سادسًا: إن الكثير من أهل النقل والحديث لم يصدقوا الرجل، واسترابوا به، يقول الخطيب البغدادي: «والعلماء من أهل النقل لا يثبتون قوله، ولا يحتجون بحديثه»[٣]. وينقل الخطيب أيضًا حديثًا بالإسناد عن أبي القاسم يوسف بن أحمد بن محمد البغدادي التمار: «أن الأشج دخل بغداد واجتمع الناس عليه في دار إسحاق، وأحدقوا به وضايقوه، وكنت حاضره فقال: لا تؤذوني فإني سمعت علي بن أبي طالب يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «كل مؤذ في النار»، وحدث ببغداد خمسة أحاديث، حفظت منها ثلاثة هذا أحدها. وما علمت أن أحدًا ببغداد كتب عنه حرفا واحدًا، ولم يكن عندي بذاك الثقة»[٤]. ويقول العسقلاني في ترجمته للمعمر المذكور: «طير طرأ على بغداد وحدّثَ بقلّةِ حياء بعد الثلاثمائة عن علي بن أبي طالب، فافتضح بذلك وكذبه النقادون»[٥].

=ج١٣، ص٢٩٨ ـ ٣٠٠، ويظهر من السيد ابن طاووس أن الخبر بذلك متواتر، انظر: سعد السعود، ص١٦٥، لكن هذا الأمر غير محقق.

(١) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٩.

(٣) تاريخ بغداد، ج١١، ص٢٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١١، ص٢٩٧.

(٥) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٥.

السيد الخوئي وجرأة تكذيب الرواية

ومع أن بعض علمائنا الإمامية صدّقوا القضية، وسجلوها في كتبهم باعتبارها قصة حقيقية، ولكنّ السيد الخوئي (ره) امتلك جرأة عالية في تزييفها وتكذيبها، إذ قال: «لا نضائق في أنّ أبا محمد العلوي قد رأى رجلًا كان يدعي أمورًا غريبة فرواها للصدوق قدس سره، إلّا أنّه لا ينبغي الشك في أنّ القصة خيالية أو أنّها مكذوبة، فإنه لو كان الرجل قد حضر الجمل وصفين وصحب الحسن عليه السلام حتى ضرب بساباط، وخرج مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء، وهرب بعد قتل الحسين عليه السلام، وكان ما ذكره صحيحًا لكان من المشاهير، فلمَ لم يتعرض لذكره المتعرضون لذكر أصحاب الأئمة عليهم السلام؟! ثم لماذا لم يحضر أحدَ المعصومين عليهم السلام بعد الحسين عليه السلام؟! ولماذا لم يذكر أحدٌ من أرباب المقاتل عنه شيئًا من وقعة الطف قد شهدها؟! ومن الغريب بعد ذلك قول الوحيد قدس سره: أنه يظهر من الأخبار حسن حاله!»[1].

سابعًا: بالإضافة إلى ما تقدّم من الملاحظات وما سيأتي في الملاحظة الثامنة، فإنّ ثمّة أسئلة أخرى قد لا يجد الإنسان عليها جوابًا مقنعًا، من قبيل أنّه يستفاد من الرواية الأولى أنّ الرجل كان بصحبة أبيه وعمه يسيرون من اليمن إلى الحج وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع العلم أنّه لم يظهر أنهم كانوا قد أسلموا، وإذا كان ذهابهم إلى الحج قد يفسر بأنهم يحجون على طريقة أهل الجاهلية، فما معنى زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ إنّ التعبير الملائم في مثل ذلك هو أن يقال: سافرنا بهدف التعرف على خبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتثبت من صدقه، وهذا أمر مفهوم، وأما زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يعبر بها من ليس مسلمًا، اللهم إلّا أن يقال: إنّ القوم لعلهم قد أسلموا في اليمن وقبل رؤيتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاءوا لزيارته.

---

(١) معجم رجال الحديث، ج١٣، ص٩٨.

ثامنًا: ومن أهم الملاحظات التي يمكن تسجيلها في المقام أنّ الروايات مع أنها تحكي قصة واحدة لكنها تختلف اختلافًا كبيرًا في العديد من النقاط والتفاصيل، إلى حدّ التنافي أو التضاد الكلي بينها، ما يعدّ أمارة على الوضع، لأنه وكما قيل: «لا حافظة لكذوب»، وتناقضات القصة وأبرز وجوه التنافي بينها نخصص لها الوقفة التالية.

٣ ـ تناقضات القصة وتضارب رواياتها!

إن التناقضات والاختلافات التي تضمنتها الروايات التي تحكي قصة هذا الرجل أكثر من أن تحصى، وهي تؤشر إلى أنّ الرجل ـ على فرض كونها شخصية حقيقية ـ كاذب مفتر، أو أن الذين نقلوا عنه ممن لا يوثق بهم، وسوف نكتفي بالإشارة إلى بعض تلك التناقضات والاختلافات، ونترك الباقي اعتمادًا على فطنة القارئ الحصيف:

أولًا: الاختلاف في اسمه واسم أبيه وجده، فقد عرفت أنّ بعضهم يسميه عثمان بن الخطاب بن عبد الله العوام، وآخرون علي بن عثمان بن خطاب بن مرة، وعن بعض ثالث أنّ اسمه بكر بن الخطاب، نقل العسقلاني عن إبراهيم بن محمد بن علي (الذي يدعي أنه من ذرية أبي أيوب الأنصاري) أنه ذكر في تسميته: «أبو حفص بكر بن الخطاب بن حسان..»، ثم علّق العسقلاني: «وقد أغرب في تسمية الأشج وكنيته والمشهور أنه أبو الدنيا عثمان ابن الخطاب كما سيأتي وسماه بعضهم عليًا»[1]، وهذا الاختلاف الشديد في اسمه إن كان منشؤه الرجل نفسه، فهذا يعد شاهدًا إما على كذبه أو تخريفه، وإذا كان منشؤه هم الرواة عنه فهذا يبعث على الشك في صدقيتهم وضبطهم.

ثانيًا: تضارب الروايات المنقولة عنه واختلافها في تحديد زمن ولادته،

---

(١) لسان الميزان، ج١، ص١٠٦.

فالرواية الثانية للصدوق تؤكد نقلًا عن المعمر المذكور أنّ عمره كان حوالي ثلاثين سنة عندما وصلهم خبر وفاة النبي ﷺ ووفاة الخليفتين، والرواية الأولى للصدوق أيضًا تنصّ على أنه مولود في زمانه ﷺ حيث ذكرت أنه قصد مع أبيه وعمه الحج وزيارة النبي ﷺ وأنه لم يدركه، وإنما انضم إلى الإمام علي عليه السلام في مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، في المقابل فإنّ رواية الخطيب ورواية البحار (الرابعة من الروايات الشيعية) تتفقان على «أنه ولد في خلافة أبي بكر»، ما يعني في الحد الأدنى أن ذاكرة الرجل تخونه وينقل القصة بأكثر من رواية.

ثالثًا: الاختلاف في ذكر أوصافه وملامحه الشخصية، ففي حين تذكر الرواية الأولى أنّه يبدو للناظر في عمر «ابن ثلاثين أو أربعين سنة، وأنه أسود الرأس واللحية، شاب نحيف الجسم»، فإنّا نجد الرواية الثانية تؤكد أنه عندما أراد الحديث رفع حاجبيه وفتحهما بيديه، في دلالة واضحة على أنّه كان شيخًا هرمًا.

رابعًا: الاختلاف في عدد الأشخاص الذين كانوا في هذه الرحلة، ففي حين يظهر من بعضها (الرواية الأولى) أنّ المعمر خرج مع أبيه وعمّه فحسب، فإنّ بعضها الآخر (الثانية) يؤكد أنه خرج مع أبيه ومعهما خادمان، ولا ذكر فيها للعم، كما لا ذكر في الأولى للخادمين، ويظهر من بعضها (رواية الخطيب البغدادي) أنه كان برفقة أبيه فقط ولا ذكر فيها للعم ولا للخادمين.

خامسًا: ونقطة الاختلاف الأخرى بين الروايات هو في تعيين مقصد الرحلة، ففي حين تذكر الرواية الأولى أنّ المقصد من السفر هو الحج وزيارة النبي ﷺ فإنّ الثانية تؤكد أن المقصد هو العثور على نهر الحياة، الواقع في منطقة الظلمات. وفي رواية «لسان الميزان» المنقولة عن القاضي عبد المجيد بن عبد الله أنّ الرجل (المعمر) خرج مع أبيه في طلب إبل لهم

كانت تائهة، وأثناء البحث عطش فوقع على عين ماء تصب في الصحراء[١]. وأما رواية الخطيب البغدادي فيظهر منها أنه كان يقصد أمير المؤمنين عليه السلام إبان حكمه في الكوفة، وأنه خرج للقاء الإمام علي عليه السلام.

سادسًا: وتختلف الروايات في تحديد المنطقة التي تاهوا فيها، ففي بعضها (الرواية الأولى) أنهم قد تاهوا في الصحراء في منطقة جبال رملية يقال لها «جبال رمل عالج» المتصلة برمل إرم ذات العماد، وبحسب الثانية فقد تاهوا في منطقة الظلمات التي كان يصعب عليهم فيها التمييز بين الليل والنهار، وفي رواية الخطيب أنهم تاهوا قريب الكوفة.

سابعًا: مع اتفاق معظم الروايات على وجود شجة في جبهة المعمر المذكور وهي علامة فارقة ملازمة له وقد أصابته من لجام فرس أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا أنها تختلف في تحديد المعركة التي أصيب فيها بهذه الشجة، ففي حين تذكر الروايتان الرابعة والثانية وكذلك رواية الخطيب أنها حصلت في وقعة صفين، فإنّ الرواية الثالثة من المصادر الشيعية تذكر أنها حدثت في معركة النهروان.

ثامنًا: وتختلف الروايتان الأولى والثانية في تحديد السنة التي حج فيها الرجل إلى بيت الله الحرام وزيارة المدينة المنورة، بصحبة أبنائه وأحفاده، ففي حين تذكر الرواية الأولى أنّ ذلك كان في سنة **٣١٣** للهجرة النبوية، فإنّ الثانية تذكر أن ذلك حصل في سنة **٣٠٩** هجرية.

تاسعًا: الاختلاف في تعيين كيفية العثور على ماء الحياة والشرب منه، فبينما تذكر الأولى أن الجماعة عثروا على بئر أو عين وعليها رجلان، فإن الثانية تذكر أنّ الابن (وهو المعمر) وبينما كان يطوف في منطقة الظلمات وإذا به يعثر على نهر فشرب منه ورجع ليبشر أباه والخادمين، بينما رواية

(١) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٧.

الكراجكي (الرابعة) ورواية الخطيب تنصان على أنه عثر على عين ماء وبين يديها شبيه بالبركة (الركية) أو الوادي من مائها، وأنه نزع ثيابه واغتسل من ذلك الماء وشرب حتى روي.

عاشرًا: ومن نقاط الاختلاف الأساسية أنّ الأولى تذكر أنهم وجدوا عند البئر نبيين عليهما السلام وهما إلياس والخضر عليهما السلام، وقام أحد النبيين عليهما السلام بسقي الولد من الدلو، لكن الثانية لا ذكر فيها لهذين النبيين لا من قريب ولا من بعيد، وكذلك فإن روايتي الكراجكي والخطيب لا تتحدثان عن وجود أحد عند العين أو الماء.

حادي عاشر: وتختلف الروايات أيضًا في أمر أساسي آخر، وهو أنّ الرواية الأولى تذكر أنهم وبعدما حصل معهم ما حصل في ذلك المكان، أكملوا المسيرة إلى المدينة المنورة، فبلغوها وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد توفي، كما أخبرهما النبيان عليهما السلام، فمرض الوالد في المدينة وتوفي فيها بعد أن أوصى بابنه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لكن الرواية الثانية تذكر أمرًا مغايرًا، وهو أن الجماعة بعد الشرب من ماء الحياة عادوا إلى بلادهم وفيها توفي والده، وأما رواية الكراجكي (الرابعة) ورواية الخطيب فإنهما تتحدثان عن أمر مغاير جدًا وهو أنه وصل إلى الكوفة والتحق بأمير المؤمنين عليه السلام عند خروجه إلى صفين.

ثاني عشر: الاختلاف فيمن أخبر المعمر بأن الماء الذي شربه هو ماء الحياة وأنه نتيجة لذلك سوف يعيش عمرًا مديدًا، ففي حين تؤكد الرواية الرابعة ورواية الخطيب أنّ الإمام علي عليه السلام هو مَنْ أخبره بذلك، تنص الأولى على أن المخبر هو إلياس أو الخضر، وتنص الثالثة على أنّ والده أخبره بذلك، ولست أدري من أين استمد والده هذا العلم الذي لا يعلمه إلّا علام الغيوب أو من كان متصلًا بالوحي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؟!

ثالث عشر: الاختلاف في اسم المدينة المغربية التي يقطنها المعمر وذريته، فبينما نصّت الروايتان الأولى والرابعة على أنها طنجة[١]، فإنّ الثالثة نصّت على أنّه «من مدينة بالمغرب يقال لها مزيدة»، ومحاولة الشيخ النوري للتوفيق بين الروايتين بالقول: «ولعل مزيدة من توابع طنجة» لا تستقيم لأنّ النص المذكور واضح في أنّ مزيدة مدينة وليست قرية لتكون ملحقة بمدينة طنجة، أجل هناك مدينة مغربية باسم مليلية، ولكن هذا مختلف واحتمال الاشتباه بينهما مستبعد ولا سيما أنّ المعمر عرف بالمزيدي، وفي مقابل ذلك كله فإنّ الرواية الثانية ذكرت أنه يعيش في قرب باهرت العليا، ولعلها تاهرت الجزائرية المعروفة. وفي رواية الخطيب البغدادي جاء اسم المدينة المغربية التي يقطنها: «رندة»، ولعلها تصحيف مرندة كما جاء اسمها في لسان الميزان، حيث نقل في رواية عن المعمر قوله: «خرجت مع أبي من قرية يقال لها مرندة بطلب الحج..»[٢]، وهكذا جاء اسمها في الأنساب[٣]. وفي الأندلس كان هناك قرية اسمها «رُنْدة» وهي مدينة قد عرفت ازدهارًا أبان الحكم الإسلامي، وإليها ينسب الشاعر الأندلسي أبو البقاء المرندي وهو صاحب القصيدة الشهيرة:

لكل شيء إذا ما تمّ نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سرّه زمان ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد ... ولا يدوم على حال لها شان[٤]

ومن أبرز وجوه التضارب والتضاد بين الروايات الناقلة لقصة المعمر المغربي: الاختلاف حول موته وحياته، وهذا ما سوف نتطرّق إليه بعد قليل.

---

(١) وهذا ما يتبناه الكراكجي في كنز الفوائد، ص٢٦٢.
(٢) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٧.
(٣) قال السمعاني في ترجمته: «هو من مدينة بالمغرب يقال لها مرندة، وقد ذكرته في الأشج»، انظر الأنساب، ج٥، ص٢٦٢.
(٤) مستدركات أعيان الشيعة، ج٣، ص٩٩.

إلى غير ذلك من الملاحظات التي يمكن تسجيلها على مضمون القصة، ووجوه التضارب التي يمكن رصدها بين رواياتها. مما يجعلنا نرجح أن الرجل لو كان شخصية حقيقية فإنّ قصته خيالية ولا صحة لها، وقد نسجها من عقله، فلا يصغى إليها لأنّها أقرب إلى الأساطير والخرافات التاريخية. يقول العسقلاني بعد نقل جملة من الروايات الناقلة لخبر المعمر: «فإذا أنت تأملت هذه الروايات ظهرت على تخليط هذا الرجل في اسمه ونسبه ومولده ومن عمره، وأنه كان لا يستمر على نمط واحد في ذلك كله فلا يغتر بمن أحسن الظن به»[1].

رابع عشر: هل مات المعمر أم لا يزال حيًا؟

ومن أبرز وجوه الاختلاف بين الروايات والأخبار الناقلة لقصة هذا المعمر هو الاختلاف حول نقطة جوهرية في قصته، وهي موته أو بقاؤه حيًا إلى حين خروج المهدي (عج)، ففي حين نصّت الرواية الأولى أن الخضر أو إلياس قد أخبره أنه سيعمر حتى يلقى المهدي (عج) فإن الرواية الرابعة ـ على ما جاء في ذيلها نقلًا عن أبي بكر المفيد الجرجرائي ـ تؤكد أنه قد مات في سنة **٣١٧**هـ.

ويحتمل المحدّث النوري أن عبارة «توفي في سنة سبع عشرة وثلاث مائة» ليست من الخبر (الرابع) معززًا هذا الاحتمال بكلام الكراجكي (تلميذ أبي بكر المفيد) الذي يؤكد أنه ما زال حيًا إلى زمانه، وينقل عن الشيعة أنه سيجتمع مع المعمر المشرقي في زمن المهدي (عج).

إلّا أنّ هذا الاحتمال لو كان صحيحًا فهذا يعني أنّ رواية «مجالس الشيخ» ـ بحسب نقل المجلسي ـ قد تعرضت للتلاعب وزيدت فيها هذه العبارة، وهذا احتمال يصعب الالتزام به، ولا سيما أنه قد يجرّ إلى ما لا تحمد عقباه، على أن ما جاء في الرواية الثانية لا ينافي وفاته، فإنّ والده،

(١) لسان الميزان، ج٤، ص١٤٠.

طبقًا لتلك الرواية، أخبره أنه سوف «يطول عمره حتى يملَّ الحياة» وليس فيها ما ينص على بقائه حيًا إلى آخر الزمان، ومن يعشْ ثلاثة قرون ونيف يصدق عليه أنه طال عمره حتى ملّ الحياة. كما أنّ الرواية الرابعة قد نصّت (وذلك في المقطع السابق على العبارة التي احتمل النوري أنها ليست من الخبر) على أنّ الإمام عليًا عليه السلام بشره بالعمر الطويل وهذا يتلاءم مع موته في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة.

ولو أخذنا بنظر الاعتبار ما ذكرته المصادر السنية فهي تؤكد صراحة موته في القرن الرابع للهجرة[١]. ونقل العسقلاني عن «كتاب الأنساب» للهمداني أنّ الخضر قد أخبره أنه يعيش أربعمائة سنة[٢]، ونقل في موضع آخر عن أبي عمر الداني بإسناده عن ابن تميم المعروف بابن أبي العرب قال: وسمعت القاضي عبد المجيد بن عبد الله: «.. فشربت منه فإذا برجلين، فقالا لي أشربت من العين؟ قلت: نعم، قالا: فإنك تعيش ثلاثمائة سنة وزيادة»[٣]. ونقل أيضًا عن بعضهم: «أنّه زعم أنّ الأشج هذا مات سنة ست وسبعين وأربعمائة»[٤].

(١) يقول الخطيب البغدادي: «وقد روى بعض الناس عن المفيد قال: بلغني أن الأشج مات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وهو راجع إلى بلده»، انظر تاريخ بغداد، ج١١، ص٣٩٧. والكلام عينه يورده ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج١٣، ص٣٨١، ويؤكد العسقلاني أن وفاته كانت في سنة ٣٢٧هـ، لسان الميزان، ج٤، ص١٣٥، وينقل قولًا بموته في سنة ٣١٦هـ، المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٧.

(٢) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٧.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٣٦.

الفصل السادس

عودة المعمر المغربي إلى الظهور في القرن الحادي عشر!

- إطلالة جديدة للمعمَّر المغربي!
- وقفات نقدية مع القصة الجديدة

مع نهاية القصّة المتقدمة التي حدثت فصولها في القرن الرابع الهجري انطفأ الحديث عن المعمر المغربي وعن كيفية حياته بعد ذلك، فلم نعد نجد له حضورًا جديدًا على الإطلاق بل أهملت ذكره عامة كتب الأحاديث والتواريخ والقصص، فباستثناء الكتب التي أعادت ذكر قصته التي جرت فصولها في بداية القرن الرابع الهجري، لم يذكر أنّه قد زاره زائر أو استمع إليه محدث، أو أشار إليه مؤرخ، مع أنه أعجوبة نادرة لجهة طول عمره، ثمّ وفجأة وبقدرة قادر وبعد مضي ستة قرون تقريبًا على الظهور الأول وانطفاء ذكره واختفاء أثره إذا به يطلّ علينا مجددًا في القرن الحادي عشر الهجري، في بلاد الشام، وإليك تفصيل هذا الظهور الجديد:

أولًا: إطلالة جديدة للمعمَّر!

الظهور الجديد للمعمر المغربي يكون من خلال دعوى التقاء عالم من علمائنا الأجلاء به في أحد مساجد الشام، وهذا العالم هو الشيخ محمد الحرفوشي المتوفي سنة (١٠٥٩هـ).

وينقل لنا قصة هذا اللقاء المحدث السيد نعمة الله الجزائري (١٠٥٠ ـ ١١١٢هـ) في مقدّمة شرحه على كتاب «عوالي اللآلئ»، فإنّه وبعد ذكره جملة من طرقه وأسانيده يقول: «ولنا طريق غريب قصير حدّثني وأجازني به السيّد الثقة السيّد هاشم بن الحسين الأحسائي في دار العلم شيراز في المدرسة المقابلة لبقعة مير سيّد محمّد عابد عليه الرحمة والرضوان في حجرة من الطبقة الثانية على يمين الداخل، قال: حكى لي أستاذي الثقة المقدّس الشيخ محمّد الحرفوشي قدّس الله تربته قال: لمّا كنتُ بالشام عمدت يومًا إلى مسجد مشهور بعيد من العمران، فرأيت شيخا أزهر الوجه عليه ثياب بيض وهيئة جميلة، فتجارينا في الحديث وفنون العلم فرأيته فوق ما يصف الواصف، ثمّ تحقّقت منه الاسم والنسبة ثمّ بعد جهد طويل قال: أنا معمّر أبو الدنيا المغربي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وحضرت معه حرب صفّين وهذه الشجّة في وجهي من رمحة فرسه سلام الله عليه. ثمّ ذكر لي من الصفات والعلامات ما تحقّقت معه صدقه في كلّ ما قال، ثمّ استجزته كتب الأخبار فأجازني عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن جميع أئمّتنا عليهم السلام حتّى انتهى في الإجازة إلى صاحب الدار عليه السلام، وكذلك أجاز لي كتب العربيّة من

مصنّفيها من الشيخ عبد القاهر والسكّاكي وسعد الدين التفتازاني، وكتب النحو عن أهلها، وغير ذلك من العلوم المتعارفة»[1]. ثم أضاف السيد الجزائري رحمه الله أنه يضمن ثقة السيد هاشم والشيخ الحرفوشي، ولكنه لا يضمن وقوع القضية في الخارج على ما حكيت له، وسيأتي نقل كلامه.

أقول: ونظير هذا الكلام ذكره السيد نعمة الله الجزائري أيضًا في كتابه «الأنوار النعمانية»، قال: «حدثني أوثق مشايخي السيد هاشم الأحسائي في شيراز في مدرسة الأمير محمد عن شيخه العادل الثقة الورع الشيخ محمد الحرفوشي أعلى الله مقامه في دار المقامة أنه دخل يومًا مسجدًا من مساجد الشام، وكان مسجدًا عتيقًا مهجورًا فرأى رجلًا حسن الهيئة في ذلك المسجد فأخذ الشيخ في المطالعة في كتب الحديث، ثم إنّ ذلك الرجل سأل الشيخ عن أحواله وعمن نقل الحديث فأخبره الشيخ، ثم إنّ الشيخ سأله عن أحواله وعن مشايخه فقال ذلك الرجل: أنا معمر أبو الدنيا، وأخذت العلم عن علي بن أبي طالب عليه السلام وعن الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وأخذت فنون العلم عن أربابها وسمعت الكتب من مصنفيها، فاستجازه الشيخ في كتب الأحاديث، الأصول وغيرها، وفي كتب العربية والأصول فأجازه، وقرأ عليه الشيخ بعض الأخبار في ذلك المسجد توثيقًا للإجازة، فمن ثم كان شيخنا الثقة قدس الله روحه يقول لي: يا بني إنّ سندي إلى المحمدين الثلاثة وغيرهم من أهل الكتب قصير، فإني أروي عن الفاضل الحرفوشي عن الإمام علي بن أبي طالب وكذا إلى الصادق والكاظم عليهما السلام إلى آخر الأئمة وكذلك روايتي لكتب الأصول مثل الكافي والتهذيب ومن لا

(١) نقل ذلك عنه جمع من الأعلام، راجع: منتهى المقال في أحوال الرجال، ج٥، ص٤٤. ومعجم رجال الحديث، ج١٣ ص٩٨، والنجم الثاقب للنوري، ج٢، ص٣٢٨، وجنة المأوى له.

يحضره الفقيه وأجزتك أن تروي عني بهذه الإجازة، فنحن نروي الكتب الأربعة عن مصنفيها بهذا الطريق»[١].

(١) الأنوار النعمانية، ج٢، ص٧.

ثانيًا: وقفات نقدية مع القصة الجديدة

وتعليقًا على قصة التقاء الحرفوشي بالمعمر المغربي نقول:

أولًا: إنّ الطريق إلى المعمر المغربي في هذه القصة ينحصر بثلاثة أسماء، وهم على التوالي: السيد نعمة الله الجزائري، والسيد هاشم الأحسائي، والشيخ محمد الحرفوشي، والأول والثالث في هذا الطريق، أعني الجزائري والحرفوشي هما من الأعلام ولا كلام لنا في وثاقتهما وجلالتهما، ولكن من هو الشخص الثاني، أعني السيد هاشم الأحسائي؟

إنّ هذا الرجل قد نص السيد نعمة الله الجزائري على وصفه بالثقة في مقدمة شرحه لكتاب «عوالي اللآلي» وأنه «أوثق مشايخه» كما في الأنوار النعمانية، ووصفه أيضًا بالزاهد في إجازته للشيخ حسين بن محيي الدين بن أبي جامع العاملي[1]، وفي الإجازة الكبيرة لحفيده السيد عبد الله الجزائري، قال في وصفه: «السيد العالم بالأُصوليْن[2] هاشم بن الحسين بن عبد الرؤوف الأحساوي، عن شيخه السيد نور الدين بن علي بن أبي الحسن رحمة الله عليه»[3]، وقد ترددت العبارة المذكورة بعد ذلك في خاتمة المستدرك[4] والأعيان[5]، وأنوار البدرين[6]، وقد نقل السيد محمد

---

(١) أعيان الشيعة، ٦، ص١٧٠.
(٢) أصول الدين وأصول الفقه.
(٣) الإجازة الكبيرة، ص٨١،
(٤) خاتمة المستدرك، ج٢، ص١٦١.
(٥) أعيان الشيعة، ج١٠، ص٢٢٧.
(٦) أنوار البدرين، ص٤٠٠.

الجزائري إجازته للسيد نعمة الله الجزائري والتي تنص على أنه قرأ عليه كتاب «الزبدة الفقهية» للشيخ البهائي، وأجازه له روايته عنه مع حواشيه[١].

لكن هذا السيد الأحسائي فيما يبدو كان مغمورًا، لأنه فيما عدا كلام الجزائري عنه وإجازته له لم نعثر له على ترجمة مستقلة في كتب التراجم، من معاصريه[٢] أو مقاربي عصره[٣]، وليس لدينا شيء يفصح عن ذهنيته ودقته في تلقي الأخبار وتصديق الرجال ولا سيما تصديق قصة رجل معمَّر يزعم أن عمره يزيد على عشرة قرون ويحدّث عن وقائع وأحداث جرت بمحضره في زمن أمير المؤمنين عليه السلام وولديه الحسن والحسين عليهما السلام! والغموض الذي يكتنف شخصية السيد هاشم قد تنبه له مؤلف كتاب أعلام هجر[٤]، والذي أشار إلى ضآلة المعلومات عنه.

ثانيًا: إنّ ما حدّث به الحرفوشي من قصة المعمر هو أمر في غاية الغرابة، فبعد هذه الغيبة الطويلة للمعمر المغربي والتي استمرت ما يقرب من ستة قرون لم يذكره فيها ذاكر، ولا أشار إليه مؤرخ أو رجالي أو رحالة ولم يسمع به إنسان، ولا روى عنه محدِّث، يعود الرجل إلى الظهور من جديد في مسجد من مساجد الشام! ويلتقي هناك الشيخ محمد الحرفوشي العاملي، ويفصح له عن هويته، فيصدقه الحرفوشي ويستجيزه، والسؤال: أنّى له بتصديقه؟! وما هي الأمارات التي أوجبت صدقه؟! ثمّ ما الذي أحضر المعمر المغربي إلى بلاد الشام من بلاد المغرب التي كان يقطنها مع ذريته قبل عدة قرون؟! وما سبب خروجه منها؟! ولمَ لم يره أحدٌ غير الحرفوشي؟!

---

(١) نابغة فقه وحديث سيد نعمت الله جزائري، ص٢٢٦.

(٢) ومنهم الشيخ الحر في تذكرة المتبحرين وهو الجزء الثاني من كتاب أمل الآمل.

(٣) ومنهم الميرزا عبد الله الأفندي صاحب الرياض، نعم في الآونة الأخيرة ترجم له جمع من الأعلام، ومنهم العلامة الطهراني في طبقات أعلام الشيعة، القرن ١١، ص٦٣١، والسيد حسن الصدر في تكملة أمل الآمل، ج٦، ص١٩٨ وغيرهما من الأعلام.

(٤) أعلام هجر، ج٦، ص٤٠٤.

ثالثًا: أنّى للمعمر المغربي أن يجيز الحرفوشي برواية كتب الأخبار عن مصنفيها كالكافي والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه؟! ومتى تلمّذ عليهم أو استجازهم بروايتها؟ إنّ الشيخ الصدوق نفسه يروي عن المعمر بواسطة بعض شيوخه، كما مرّ، فكيف تحوّل المعمّر نفسه إلى راوٍ عن الصدوق وطالب إجازة منه؟! وكيف يكون راويًا عن الشيخين الطوسي والكليني، ومع ذلك لا يذكر في عداد تلامذتهما؟! ثمّ إنّ المعمّر في قصة الحرفوشي يبرز كتلميذ ليس عند الإمام علي عليه السلام فحسب، بل وعند سائر الأئمة من ولده عليهم السلام، فمتى وكيف تلّمذ عليهم مع أنه قد هرب بعد معركة كربلاء إلى المغرب وبقي هناك إلى القرن الرابع قبل مجيئه «الشهير» إلى الحج؟! ولو كان من أصحاب الأئمة عليهم السلام فلمَ لم يذكر في عداد تلامذتهم وأصحابهم والراوين عنهم ولا سيما أن ثمة داعيًا لذكره وهو كونه معمرًا؟! ولمَ يتحول الرجل إلى راوٍ لكتب ألفت بعد عصر الأئمة عليهم السلام، مع أنه معاصر لهم؟!

إعراض كثير من أقطاب الإجازة عن هذا الطريق

ولعله لأجل ما ذكرنا أعرض بعض العلماء الأجلاء عن نقلها، أو الاعتماد إلى الطريق المذكور في الإجازة، ومن هؤلاء:

١ ـ الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ) فهو لم ينقل في كتبه بحسب اطلاعنا قصة لقاء الحرفوشي بالمعمر المغربي في كتبه، ولا أشار إلى الأمر في ترجمته للحرفوشي في أمل الآمل، مع أنّه عقد له ترجمة خاصة وأسهب في بيان علمه وفضله، وهو ابن بلاده ومعاصر له، وقد التقى به مدة من الزمان كما صرح في أمل الآمل[1]، ولم يذكر هذا الطريق في إجازاته المختلفة.

٢ ـ العلامة محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، فهو لم يشر في موسوعته

(١) أمل الآمل، ج٢، ص١٦٣.

الحديثية «بحار الأنوار»[١] إلى هذه القصة، مع أنه أسهب في الحديث عن المعمرين، كما أنه لم يذكر هذا الطريق في سلسلة إجازاته لتلاميذه.

٣ ـ وهكذا إنّ كثيرًا من العلماء لم يذكروا هذا الطريق في سلسلة أسانيدهم وطرقهم، ومن هؤلاء الشيخ يوسف البحراني، فإنّ بعض طرقه تنتهي إلى السيد نعمة الله الجزائري[٢]، ولكنه لا يروي عنه بواسطة طريق المعمر رغم علو هذا السند، كما يلاحظ في كتابه الشهير والموسوم بلؤلؤة البحرين.

إن هؤلاء الأعلام ولا سيما العلامة المجلسي وكذلك الشيخ الحر مع حرصهم الشديد على علّو الأسناد وقربه لم يبالوا بهذا الطريق، فلو كانوا يثقون بمثل هذا الطريق لاستجازوا من الحرفوشي، ولو بالمراسلة أو بالواسطة، وأجازوا تلامذتهم.

نعم سيأتي في الفصل التاسع أن بعض العلماء قد وثقوا بقصة لقاء الحرفوشي بالمعمر المغربي، وعدوا الطريق من خلاله إلى الأئمة عليهم السلام هو من أقصر الطرق في الإجازات وأعلاها سندًا.

(١) أقول: في الطبعة المتداولة اليوم من بحار الأنوار أضيف على الجزء الثالث والخمسين، كتاب «جنة المأوى» للمحدث النوري، بدءًا من صفحة ١٩٩ وإلى نهاية الجزء المذكور المنتهي بصفحة ٣٣٦، وهذه الإضافة لا موجب لها وقد توجب وقوع البعض في الالتباس.

(٢) لؤلؤة البحرين، ص١١١.

الفصل السابع

دراسة
في أخبار المعمر المغربي

- نظرة عامة في الأخبار المروية عنه
- عرض أخباره

قد عرفت فيما سبق أنّ لقصة المعمر المغربي تداعيات مختلفة، ومنها ما يتصل بعلم الحديث، حيث نُقلت عنه أخبار رواها عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الفصل نخصصه لدراسة تلك الأخبار.

أولًا: نظرة عامة في الأخبار المروية عنه

ثمة عدد لا بأس به من الأخبار المروية عن المعمر المغربي، وقد انتشرت في كتب الحديث السنيّة والشيعية، وهو ما جعلها تمتد إلى كتب الفقه أيضًا، وإليك التفصيل:

١ ـ عدد روايات المعمر

إن الأخبار التي نقلها الشيخ الكراجكي عن المعمر المغربي والتي تنتهي إلى أبي بكر المفيد الجرجرائي، هي اثنا عشر حديثًا[١]. وقيل إنه روى ثلاثة عشر حديثًا[٢]، وقيل: خمسة عشر حديثًا[٣]. وقد نقلها عنه أيضًا العلامة المجلسي في البحار[٤] مستندًا إلى «مجالس الشيخ الطوسي»، مع أنّه لا وجود لهذه الأخبار في كتاب المجالس الذي بين أيدينا.

وبالتدقيق لاحظنا أنّ رواياته تزيد على خمسة عشر حديثًا، هذا مع أنّ الرجل كان ـ كما صرح بنفسه ـ مشغولًا بصحبة أمير المؤمنين وخدمته، ولم يكن مشغولًا ولا مهتمًا بالعلم، كما مرّ في رواية الصدوق[٥]، وهذا الأمر

---

(١) يقول: «كلمة الحق ضالّة المؤمن حيث وجدها فهو أحقّ بها..» انظر: كنز الفوائد، ص٢٦٥. وقد نقل اثني عشر خبرًا بهذا السند.

(٢) لسان الميزان، ج٤، ص١٣٥. ويقول العسقلاني عن الأحاديث التي حدّث بها أنها «معروفة من رواية غيره»..

(٣) تاريخ بغداد، ج١١، ص٢٩٧.

(٤) انظر على سبيل المثال: بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٦٣، وج٧٨، ص٦٨.

(٥) جاء في الرواية: «فسألناه أن يحدثنا بما سمعه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام=

غريب واقعًا، فكيف يكون شخص في خدمة أمير المؤمنين وولديه الحسن والحسين عليهم السلام وملازمًا لهم، ومع ذلك لا يبالي بالاستماع إلى كلماتهم ومواعظهم، فأي اهتمام هذا؟! وهل يزداد الإنسان حبًا وتعلقًا وملازمة للأشخاص إلّا بسبب ما لديهم من كنوز معرفية وروحية؟!

٢ ـ تسرب أخباره إلى كتب الاستدلال الفقهي

إنّ وجود العدد الأكبر من الأخبار التي رواها المعمر المغربي في كتاب الشيخ الصدوق وكتاب «كنز الفوائد» للكراجكي وهو من علماء القرن الخامس الهجري، دفع بعض العلماء المتأخرين إلى الوثوق بها وتسجيلها في كتب الحديث، كما فعل المحدث النوري في نقل هذه الأخبار في مستدرك الوسائل[١]. ما يعني أنّه من الطبيعي أن تغدو هذه الأخبار مستندًا لبعض الأحكام الشرعيّة، وفعلًا فقد لاحظنا أن بعض الفقهاء استدل ببعض هذه الأخبار.

ولكنّ اللافت أنّ الشيخ الطوسي لم ينقل في التهذيب والاستبصار شيئًا من الروايات التي رواها المعمّر عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهكذا فإنّ معظم علمائنا وفقهائنا، ومنهم الشيخ الحر العاملي (١١٠٤هـ) لم ينقل هذه الأخبار في موسوعته الشهيرة «وسائل الشيعة»، مع أنّ «كنز الفوائد»[٢] هو أحد مصادر كتابه المذكور، كما أنّ معظم الفقهاء لم يستندوا إلى هذه الأخبار بحسب تتبعنا.

=فذكر أنه لم يكن له حرص ولا همة في العلم في وقت صحبته لعلي بن أبي طالب عليه السلام، والصحابة أيضا كانوا متوافرين فمن فرط ميلي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ومحبتي له لم أشتغل بشيء سوى خدمته وصحبته، والذي كنت أتذكره مما كنت سمعته منه قد سمعه مني عالم كثير من الناس ببلاد المغرب ومصر والحجاز، وقد انقرضوا وتفانوا، وهؤلاء أهل بيتي وحفدتي قد دونوه فأخرجوا إلينا النسخة، فأخذ يملي علينا من حفظه» انظر: كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٣٨.

(١) انظر على سبيل المثال: مستدرك الوسائل، ج٢، ص٣٧٩، وج١١، ص١٠٣.

(٢) وسائل الشيعة، ج٣٠، ص١٥٩.

ثانيًا: عرض أخباره

وفيما يلي نعرض الأخبار التي رويت عن المعمر المغربي ونحاول تقييمها، وما روي عنه في كنز الفوائد للكراجكي خمسة عشر خبرًا، ثلاثة عشر خبرًا منها رواها من طريق المفيد الجرجرائي، واثنان منها رواهما من طريق الشريف أبو محمد الحسن بن محمد الحسيني، وقد عرفنا فيما سبق أن السندين غير تامين، وأمّا الأخبار هي:

الخبر الأول: قال الكراجكي: «حدثني القاضي أبو الحسن أسد بن إبراهيم السلمي الحراني وأبو عبد الله الحسين بن محمد الصيرفي البغدادي، قالا جميعا: أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد المعروف بالمفيد لقراءتي عليه بجرجرايا، وقال الصيرفي: سمعت منه إملاءً سنة خمس وستين وثلاثمائة أنه قال: حدثنا علي بن عثمان بن الخطاب بن عبد الله بن عوام البلوي من مدينة بالمغرب يقال لها مزيدة، يعرف بأبي الدنيا الأشبح المعمر، قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «كلمة الحق ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها»[1].

وهذا الخبر قد رواه ابن عساكر، قال: «قرأت بخط علي بن الخضر السلمي وأنبأنيه أبو الوحش سبيع بن المسلم المقرئ ثنا علي بن الخضر بن سليمان بن سعيد السلمي لفظا سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في الجامع بدمشق ثنا الشيخ أبو الفضل محمد بن محمد بن عيسى بن محمد الإسفرايني

---

(١) كنز الفوائد، ص٢٦٥، وعنه بحار الأنوار، ج١٤، ص٣٣١.

قدم علينا دمشق حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين الشيرازي قال سمعت الحسين بن جعفر بن محمد الجرجاني الحافظ بالري، يقول: سمعت محمد بن إسماعيل بن هزان الطبراني بمكة قال سمعت معمر بن الخطاب بن عبد الله البلوي بمكة قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها»[١]. وأضاف ابن عساكر: «وقد وقع لي هذا الحديث بعلو: أخبرنا أبو غالب وأبو عبد الله ابنا أبي علي قالا أنبأنا أبو علي الحسن بن غالب بن علي المقرئ ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المفيد بجرجرايا إملاء حدثنا أبو عمرو عثمان بن الخطاب يعرف بأبي الدنيا الأشج المعمر قال سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت النبي ﷺ يقول: «الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها»[٢].

أقول: أما السند الثاني ففيه الجرجرائي وقد عرفت ضعفه، وأما السند الأول فلا يعول عليه أيضًا، ففيه ضعاف ومجاهيل، وعلى سبيل المثال: فإنّ عليًا بن الخضر السلمي[٣] مخلط، قال الذهبي: «قال عبد العزيز الكتاني: روى أشياء لا سماع له فيها ولا إجازة، وخلط تخليطًا عظيمًا»[٤]، وقد نقل ابن عساكر نفسه تضعيف الرجل[٥]. وأما سبيع بن مسلم أبو

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٥٥، ص١٩٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٥٥، ص١٩٢.
(٣) الخبر ينتهي إليه، لأنّ ابن عساكر تارة قرأ الخبر بخطه، وأخرى رواه عن سبيع، عنه.
(٤) ميزان الاعتدال، ج٣، ص١٢٦، ولسان الميزان، ج٤، ص٢٢٧.
(٥) نقل ابن عساكر عن: «عبد العزيز الكتاني قال توفي أبو الحسن علي بن الخضر بن سليمان المعروف بالصوفي في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وأربعمائة حدث عن تمام بن محمد وعبد الرحمن بن عثمان ابن أبي نصر وعبد الرحمن بن عمر بن نصر وصنف كتبًا كثيرة لم يكن هذا الشأن من صنعته وخلط تخليطًا عظيمًا كان يروي أشياء ليست له سماع ولا إجازة عفا الله عنا وعنه»، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٤، ص٤٦٣.

الوحش، فلم نجد من نصّ على توثيقه[١]، وفي الحسين بن جعفر بن محمد الجرجاني كلام[٢].

الخبر الثاني: (وقال) حدثنا الأشبح قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يوما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما»[٣].

الخبر الثالث: (وقال): حدثنا الأشبح قال سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لمن رآني أو رأى من رأى أو رأى من رأى من رآني»[٤].

---

(١) ذكره جمع من العلماء دون توثيق، قال في توضيح المشتبه: «أبو الوحش سبيع بن المسلم بن علي، ابن قيراط الدمشقي الضرير، شيخ لأبي القاسم ابن عساكر»، توضيح المشتبه، ج٩، ص١٧٧.

(٢) قال ابن حجر: «الحسين بن جعفر بن محمد الجرجاني، روى عنه إبراهيم بن محمد بن موسى بن هارون المستظهري وأنه كان يقول: الله من عهدته»، لسان الميزان، ج٢، ص٢٧٧.

(٣) كنز الفوائد، ص٢٦٥. وهذا الحديث مروي بطرقٍ أخرى لا تنتهي بالمعمر، عن الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج٤، ص٦٤، ورواه الطوسي في (المجالس / الأمالي)، بسنده عن الرضا عليه السلام، عن علي عليه السلام، ص٣٦٤، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، عن علي عليه السلام، ج٨، ص٣٤١، ورواه الترمذي بالإسناد إلى أبي هريرة «رفعه قال: أحبب..»، ثم قال: «هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلّا من هذا الوجه. وقد روى هذا الحديث عن أيوب بإسناد غير هذا، رواه الحسن ابن أبي جعفر. وهو حديث ضعيف أيضا بإسناد له عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم. والصحيح هذا عن علي موقوف»، سنن الترمذي، ج٣، ص٢٤٣.

(٤) كنز الفوائد، ص٢٦٥. وقد روي بأسانيد أخرى، فقد رواه الشيخ بسنده إلى أبي هدبة عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ورواه الحاكم في المستدرك، ج٤، ص٨٦، ثم قال: «هذا حديث قد روي بأسانيد قريبة عن انس بن مالك»، المستدرك، ج٤، ص٨٦، وثمة حديث آخر رواه أحمد بسنده عن أبي أمامة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرار»، مسند أحمد، ج٥، =

الخبر الرابع: (وقال): حدثنا الأشبح، قال: سمعت عليًا عليه السلام يقول: «إنه عهد إلى النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق»(١).

الخبر الخامس: (وقال): حدثنا الأشبح قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «في الزنا ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء، وأما اللواتي في الآخرة، فغضب الرب جل وعز وسوء الحساب والدخول في النار»(٢).

الخبر السادس: (وقال) حدثنا الأشبح قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(٣).

الخبر السابع: (وقال): حدثنا الأشبح قال: سمعت علي بن أبي

=ص٢٤٨، و٢٥٧، و٢٦٤، وروي هذا المعنى عن أبي سعيد الخدري، صحيح ابن حبان، ج١٦، ص٢١٣.

(١) كنز الفوائد، ص٢٦٥. هذا الحديث معروف ومروي من مصادر أخرى، مسند أحمد، ج١، ص٩٥، وسنن الترمذي، ج٥، ص٣٠٦، وسنن النسائي، ج٨، ص١١٦،

(٢) كنز الفوائد، ص٢٦٥، الخصال، ص٣٢٠، ومن لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٦٧، ومكارم الأخلاق، ص٤٤١، ولكن اللافت أن الطبرسي روى هذه الرواية عن المعمر المغربي، قال: «وأخبرني المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي قال: حدثنا الشيخ أبو جعفر الطوسي قال: حدثنا أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن حبيب الفارسي، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الجرجرائي قال: سمعت أبا عمرو عثمان بن الخطاب المعروف بأبي الدنيا يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: في الزنا ست خصال، ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة. فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق، ويسرع الفنا. وأما اللواتي في الآخرة: فغضب الرب، وسوء الحساب، والدخول في النار، أو الخلود في النار»، مجمع البيان، ج٦، ص٢٤٨.

(٣) كنز الفوائد، ص٢٦٥، وهذه الرواية معروفة ومشهورة ومروية في كافة المصادر الحديثية.

طالب عليه السلام يقول: لما نزلت ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة ـ ١٢]، قال النبي صلى الله عليه وآله: «سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي»[١].

الخبر الثامن: وقال: حدثنا الأشبح قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تتخذوا قبري مسجدًا ولا تتخذوا قبوركم مساجد، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي حيث كنتم، فإنّ صلواتكم تبلغني وتسليمكم يبلغني صلى الله عليه وآله»[٢].

وهذا الخبر برواية المعمر المغربي قد دخل إلى كتب الحديث اللاحقة[٣] ومن ثمّ إلى غير واحدٍ من كتب الفقه الاستدلالي[٤]، مع أنّه وارد في قضية جدلية، كما هو معروف.

الخبر التاسع: (وقال): حدثنا الأشبح، قال: سمعت علي بن طالب يقول: «ما رمدت ولا صُدعت منذ يوم دفع إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله الراية يوم خبير»[٥]، وهذا الخبر روي في بعض المصادر الأخرى بأسانيد أخرى، وبمضمون مختلف جزئيًا[٦].

---

(١) كنز الفوائد، ص٢٦٥، ورواه عن المعمر الطبرسي في مجمع البيان، ج١٠، ص١٠٨. وهذه أيضًا مروية في مصادر أخرى بأسانيد أخرى، الكافي، ج١، ص٤٢٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٦٧، ورواه الزيلعي في كتابه: تخريج الأحاديث والآثار، ج٤، ص٨٤، ولسان الميزان، ج٧، ص٤٥.

(٢) كنز الفوائد، ص٢٦٦، وعنه بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٣٢، وج ٧٣، ص٣٥٩، ومستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٤٤،

(٣) بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٣٢، وج ٧٩، ص٥٥، ومستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٣٤، وجامع أحاديث الشيعة، ج٤، ص٣٨٣،

(٤) استدل به النراقي في مستند الشيعة، ج٣، ص٢٨٣، ومصباح الهدى في شرح العروة الوثقى، ج٧، ص١٣.

(٥) كنز الفوائد، ص٢٦٦.

(٦) منها ما رواه ابن المغازلي (٤٨٣هـ) بسنده عن امرأة تدعى أم موسى قالت: «سمعت عليًا عليه السلام يقول: ما رَمِدْتُ ولا صُدِعْتُ منذ مَسَحَ رسول الله وجهي وتفل في عَيْنِي يوم خَيْبَرَ، وأعطاني الراية»، مناقب علي بن أبي طالب، ص١٥٠، وقال الهيثمي: «رواه أبو يعلى=

الخبر العاشر: (وقال): حدثنا الأشبح قال: سمعت عليًا عليه السلام يقول: «من جلس في مجلسه ينتظر الصلاة فهو في صلاة، وصلّت عليه الملائكة وصلواتهم عليه: اللهم اغفر له اللهم ارحمه»(١). وهذا الخبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصيغة أخرى قريبة منها(٢).

الخبر الحادي عشر: (وقال): حدثنا الأشبح قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحجبه ولا يحجزه من قراءة القرآن إلّا الجنابة»(٣). وهذا الخبر قد استدلّ به بعض الفقهاء(٤). وهو مروي عن الإمام علي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من طريق آخر(٥).

الخبر الثاني عشر: (وقال) حدثنا الأشبح سمعت عليًا عليه السلام يقول: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الحرب خدعة»(٦). وهذه الرواية معروفة ومشهورة(٧).

=وأحمد باختصار ورجالهما رجال الصحيح غير أم موسى وحديثها مستقيم»، مجمع الزوائد، ج٩، ص١٢٢.

(١) كنز الفوائد، ص٢٦٦، وعنه بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٣٢.

(٢) فقد روى أحمد في مسنده بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال أحدكم في صلاة ما دام في مجلسه ينتظر الصلاة والملائكة يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث»، مسند أحمد، ج٢، ص٣٩٤، وفي خبر آخر عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الملائكة تصلى على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه» صحيح البخاري، ج١، ص١١٥، وفي خبر آخر عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «.. وإن جلس ينتظر الصلاة صلت عليه الملائكة وصلاتهم عليه: اللهم أغفر اللهم ارحمه»، مسند أحمد، ١، ص١٤٤.

(٣) كنز الفوائد، ص٢٦٦.وعنه بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٣٢، ومستدرك الوسائل، ج١، ص٤٦٥، وجامع أحاديث الشيعة، ج٢، ص٤٦٤.

(٤) كتاب الطهارة، الكتاب الأول، ص١٠٨.

(٥) المعجم الأوسط، ج٧، ص٩.

(٦) كنز الفوائد، ص٢٦٦.

(٧) هو مروي في مصادر الفريقين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تهذيب الأحكام، ج٦، ص١٦٢، وصحيح البخاري، ج٤، ص٢٤، وهو مروي عن علي عليه السلام الكافي، ج٧، ص٤٦٠،

الخبر الثالث عشر: (وقال) حدثنا الأشبح قال: سمعت عليًا عليه السلام يقول: «قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدين قبل الوصية وأنتم تقرأون ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النساء ـ ١٢] أو أعيان بني الأم يتوارثون دون بني العلات يرث الرجل أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه»[١].

قال الكراجكي: «فأمّا الأحاديث التي رواها عن الأشبح أبو محمد الحسن بن محمد الحسيني مما لم يروه أبو بكر محمد بن أحمد الجرجرائي فهي» (والترقيم منا):

الخبر الرابع عشر: «قال الشريف أبو محمد: حدثني علي بن عثمان المعمر الأشبح قال: حدثني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب أهل اليمن فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني»[٢]. وهذا الخبر سوف يذكره الشيخ الصدوق كما سيأتي.

الخبر الخامس عشر: «قال: وحدثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا وأنت يا علي أبوا هذا الخلق، فمن عقنا فعليه لعنة الله أمّن يا علي، فقلت: آمين يا رسول الله، وقال يا علي أنا وأنت أجيرا هذا الخلق فمن منعنا أجرنا فعليه لعنة الله أمّن يا علي، فقلت: آمين يا رسول الله، فقال: يا علي أنا وأنت موليا هذا الخلق، فمن جحدنا ولائنا وأنكرنا حقنا فعليه لعنة الله، أمّن يا علي فقلت آمين يا رسول الله»[٣]. والمقطع الأول أعني قوله: «أنا وأنت أبوا هذا الخلق» مروي في مصادر أخرى بأسانيد أخرى وصيغة قريبة[٤]، وأما المقطع الثاني من هذا الخبر أعني قوله: «يا علي أنا وأنت أجيرا..» لم نعثر عليه في مصدر آخر.

---

(١) كنز الفوائد، ص٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٦٦، وعنه بحار الأنوار، ج٣٤، ص٣٣٣.

(٤) راجع: علل الشرائع، ج١، ص١٢٧، وعيون أخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٩١، ورواه الكراجكي أيضًا بسند آخر، كنز الفوائد، ص١٨٦.

أخبار رواها الشيخ الصدوق

نقل الشيخ الصدوق بعض الأخبار عن المعمر المغربي في كتابه كمال الدين وإتمام النعمة، بالسند التالي: قال: «حدثنا أبو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصر السجزي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الفتح الرقي، وأبو الحسن علي بن الحسن بن الأشكي ختن أبي بكر قالا..»[١]، والأخبار هي ـ بالإضافة إلى خبر حب أهل اليمن المتقدم[٢] ـ.

الخبر السادس عشر: «وحدثنا أبو الدنيا معمر المغربي قال: حدثنا علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أعان ملهوفا كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات. ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سعى في حاجة أخيه المؤمن ـ لله عز وجل فيها رضاء وله فيها صلاح ـ فكأنما خدم الله عز وجل ألف سنة لم يقع في معصيته طرفة عين»[٣]. والمقطع الأخير من هذه الرواية ثمة ما يشابهه في الجملة، وهو ما روي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

الخبر السابع عشر: وحدثنا أبو الدنيا معمر المغربي قال: سمعت

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٣٨.

(٢) جاء فيه «حدثنا أبو الحسن علي بن عثمان بن خطاب بن مرة بن مؤيد الهمداني المعروف بأبي الدنيا معمر المغربي رضي الله عنه حيًا وميتًا قال: حدثنا علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أحبّ أهل اليمن فقد أحبني، ومن أبغض أهل اليمين فقد أبغضني»، كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٤١، ورواه أيضًا الكراجكي في كنز الفوائد، ص٢٦٦، وقد تقدم. وقد نقل في السيرة الحلبيّة عن الطبراني بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحب أهل اليمن فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني»، السيرة الحلبية، ج١، ص٢٥٩.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٤١، وعنه بحار الأنوار، ج٥١، ص٢٢٨.

(٤) عن أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن خدم الله ـ تعالى ـ عمره»، مسند الشاميين، للطبراني، ج٣، ص١٩٦، والجامع الصغير للسيوطي، ج٢، ص٦٣٧، وقد وصف الخبر بأنه موضوع، انظر: لسان الميزان، ج٥، ص٣٣٣.

علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «أصاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم جوع شديد، وهو في منزل فاطمة عليها السلام، قال علي عليه السلام: فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي هات المائدة فقدمت المائدة وعليها خبز ولحم مشوي»[١]. وهذه الرواية لا نجد لها نظيرًا في سائر المصادر الحديثية.

الخبر الثامن عشر: وحدثنا أبو الدنيا معمر المغربي قال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «جرحت في وقعة خيبر خمسًا وعشرين جراحة فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رآى ما بي من الجراحة بكى وأخذ من دموع عينيه فجعلها على الجراحات فاسترحت من ساعتي»[٢]. ولم أعثر على هذا المعنى منقولًا في المصادر الأخرى.

الخبر التاسع عشر: وحدثنا أبو الدنيا معمر المغربي قال: حدثني علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ «قل هو الله أحد» مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله»[٣].

وقد رواها ابن النجار البغدادي بسند ضعيف[٤]، قال: «قرأت على أبي القاسم محمود بن محمد الحداد بأصبهان عن معمر بن عبد الواحد أنبأ أبو محمد الفضل بن محمد بن إبراهيم الزيادي من لفظه ببغداد في مدرسة سعادة قال: حدثني والدي أبو الفضل محمد بن إبراهيم قال: حدثني الشيخ الزكي محمد بن جابارة المزكى بهمذان، حدثنا السالار أبو المظفر المعروف بسالار الحاج، حدثنا الشيخ المعمر الأشج قال: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من قرأ سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٤١، وعنه بحار الأنوار، ج٥١، ص٢٢٨.
(٢) المصدر نفسه
(٣) كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٤٢، ورواها في ذيل تاريخ بغداد، ج٥، ص١٧٢.
(٤) معظم رجاله مجاهيل.

مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثًا فكأنما قرأ القرآن كله»[١].

الخبر العشرون: وحدثنا أبو الدنيا معمر المغربي قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت أرعى الغنم فإذا أنا بذئب على قارعة الطريق فقلت له: ما تصنع ههنا؟ فقال لي: وأنت ما تصنع ههنا؟ قلت: أرعى الغنم، قال لي مرْ ـ أو قال ذا الطريق ـ قال: فسقت الغنم، فلما توسط الذئب الغنم إذا أنا بالذئب قد شدّ على شاة فقتلها، قال: فجئت حتى أخذت بقفاه فذبحته وجعلته على يدي وجعلت أسوق الغنم فما سرت غير بعيد إذا أنا بثلاثة أملاك: جبرئيل وميكائيل وملك الموت عليهم السلام فلما رأوني قالوا: هذا محمد بارك الله فيه فاحتملوني وأضجعوني وشقوا جوفي بسكين كان معهم وأخرجوا قلبي من موضعه وغسلوا جوفي بماء بارد كان معهم في قارورة حتى نقي من الدم، ثم ردوا قلبي إلى موضعه وأمروا أيديهم إلى جوفي، فالتحم الشق بإذن الله عز وجل فما أحسست بسكين ولا وجع، قال: وخرجت أعدوا إلى أمي ـ يعني حليمة داية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقالت لي: أين الغنم؟ فخبرتها بالخبر فقالت: سوف يكون لك في الجنة منزلة عظيمة»[٢].

وهذا الخبر لا نجد ما يشبهه في قضية الذئب وما جرى من المحادثة بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم هجومه على غنمة، ومن ثم قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم له، وأما قضية مجيء الملائكة وشق صدره صلى الله عليه وآله وسلم فهي واردة في أخبار أخرى، ولكن تلك التي تنقل هذه الحادثة الغريبة لا يمكن الوثوق بها، بل هي متهافتة فيما بينها، ولا مجال للتعويل عليها، وقد رفضها بعض المحققين لأكثر من اعتبار[٣].

---

(١) ذيل تاريخ بغداد، ج٥، ص١٧٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ص٥٤٢، وعنه بحار الأنوار، ج٥١، ص٢٢٩.

(٣) راجع: موسوعة التاريخ الإسلامي للشيخ اليوسفي، ج١، ص٢٦٨، والصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج٢، ص١٦٦، وأضواء على الصحيحين، ص٢٤٠.

ويبدو من الرواية أنّ إقدام الملائكة على شقّ صدره ﷺ وإخراج قلبه وتطهيره عقيب قتله ﷺ للذئب إنما هو بسبب ما كشف عنه ذلك الفعل الصادر منه من قساوة قلبه، مع أن قتل الذئب الذي يعتدي على القطيع جائز ولا إشكال فيه.

أخبار أخرى

وثمة أخبار أخرى للمعمر المغربي وجدناها في مصادر مختلفة، منها:

الخبر الواحد والعشرون: «وفي تاريخ بغداد: حدثني أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الاعلى بن محمد بن مروان الرقي الفقيه، حدثنا أبو القاسم يوسف بن أحمد بن محمد البغدادي التمار ـ وكان بالرقة يعرف بالبنا، وكان شاهدًا بالرقة ـ فقلت له إن المفيد حدث عن الأشج عن علي بن أبي طالب؟ فقال: إن الأشج دخل بغداد واجتمع الناس عليه في دار إسحاق، وأحدقوا به وضايقوه، وكنت حاضره فقال: لا تؤذوني فإني سمعت علي بن أبي طالب يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «**كل مؤذ في النار**»، وحدث ببغداد خمسة أحاديث، حفظت منها ثلاثة هذا أحدها. وما علمت أن أحدًا ببغداد كتب عنه حرفا واحدًا، ولم يكن عندي بذاك الثقة»[(١)].

وقد انتقل هذا الخبر إلى العديد من كتب الحديث[(٢)]، وتسرب إلى كتب الفقه[(٣)] والتفسير[(٤)]، واللغة[(٥)].

---

(١) تاريخ بغداد، ج١١، ص٢٩٧، ونقله عنه في تاريخ مدينة دمشق، ج٣٨، ص٣٥٣.

(٢) الجامع الصغير للسيوطي، ج٢، ص٢٨٥، وكنز العمال، ج١٤، ص٥٢٣.

(٣) مواهب الجليل، ج٧، ص١٢٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج١، ص٢٣٦، ونقله ابن كثير في تفسيره، وقال: «وهذا الحديث ليس بمحفوظ ولا معروف»، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٦٥.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٣٤، ولسان العرب، ج١٤، ص٢٧، ومجمع البحرين، ج١، ص٢٥.

إكمال وتقييم

أولًا: قد عرفت أنّ بعض أحاديث المعمر المغربي لا نجدها مروية بأسانيد أخرى، ولكنها قليلة، والغالب أنّ رواياته هي أخبار لها أصل في المصادر، فهل هذا دليل صدقه؟ والجواب: إنّ وجود أصل لهذه الأخبار لا يدل بوجه على صدقه وأنّه سمع ذلك من علي عليه السلام، وإنما قد يكون دليلًا على أنّه نحت لها سندًا، قال الذهبي: «وأكثر الأحاديث متون معروفة ملصوقة بعلي، وبعضهم سماه أبا الحسن علي بن عثمان البلوي، وبكل حال فالأشج المعمر كذاب من[١] بابة رتن الدجال وجعفر بن مسطور الأنماط وحواش وربيع بن محمود الماردِيني، وما يُعنى برواية هذا الضرب الا الجهلة ويفرح بعلوها»[٢].

ثانيًا: ويبدو أنّ البعض استغلَّ اسم المعمر ونسب إليه بعض الأحاديث المكذوبة، قال ابن حجر: «أحمد بن نصر الروياني، شيخ لا وجود له، اختلق اسمه بعض الكذابين، روى عن الأشج أبي الدنيا عن علي رفعه: «إذا ألف القلب الإعراض عن الله ابتلاه بالوقيعة في الصالحين»، حدث عن الحسين بن إبراهيم بن كلمون الدير عاقولي عن الحسين الموازيني عنه، قال ابن عساكر: أكثر رواته مجاهيل»[٣].

(١) الظاهر أن الأصح مثل بابا رتن، راجع حوله الملحق رقم (٢).
(٢) ميزان الاعتدال، ج٤، ص٥٢٢، وراجع: لسان الميزان، ج٧، ص٤٥.
(٣) لسان الميزان، ج١، ص٣١٨.

الفصل الثامن

استيلاد معمر آخر
هو المعمر المشرقي!

- من هو المعمَّر المشرقي؟
- تفنيد القصة ونقدها

ويبدو أنّ العقل التنافسي بين المشارقة والمغاربة، استعان بالخيال مجددًا ليبتكر قصة معمَّر آخر من الشرق، حتى لا يبقى الفضل حكرًا على أهل المغرب! ويتساوى معهم أهل المشرق في تقاسم الفضيلة، ومن هنا تم استيلاد معمَّر آخر بطريقة أشدّ غرابة من عملية استيلاد صاحبه المعمر المغربي، فمن هو المعمر المشرقي؟ وما هي قصته؟

أولًا: من هو المعمَّر المشرقي؟

المعمر المشرقي على ما تقول القصة هو شخص يعيش في مدينة سهرورد الإيرانية، واللافت في قصته أنّ ثمّة شبهًا كبيرًا بينه وبين المعمر المغربي، من حيث اللقاء بأمير المؤمنين عليه السلام، ومن حيث العمر الطويل الذي سيمتد إلى زمن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليكون المعمَّران من جنوده عجل الله له الفرج.

قال الشيخ أبو الفتوح الكراجكي (٤٤٩هـ): «وقد ذاع بين كثير من الخصوم ما يروى ويقال اليوم من حال المعمر (أبي الدنيا المغربي) المعروف بالأشبح (الأشج) وأنه باق من عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الآن، وأنه مقيم من ديار المغرب في أرض طنجة، ورؤية الناس له في هذه الديار، وقد عَبَرَ متوجهًا إلى الحج والزيارة، وروايتهم عنه حديثه وقصته وأحاديث سمعها من أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه، وقوله: إنه كان ركابيًا بين يديه. ورواية الشيعة أنه يبقى إلى أن يظهر صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكذلك حال المعمَّر (الآخر) المشرقي ووجوده بمدينة من أرض المشرق يقال لها سهرورد إلى الآن، ورأينا جماعة رأوه وحدثوا حديثه، وأنه أيضًا كان خادمًا لأمير المؤمنين صلوات الله عليه، والشيعة تقول: إنّهما يجتمعان عند ظهور الإمام المهدي عليه وعلى آبائه أفضل السلام»[1].

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي، ص٢٦٢، ونقل القصة عنه العلامة المجلسي في بحار الأنوار، ج٥١، ص٢٦١، والمحدِّث النوري، راجع النجم الثاقب، ج٢، ص٣٧٣.

وبعد أن فصّل الشيخ الكراجكي الكلام في المعمر المغربي عاد إلى سميّه المشرقي فقال تحت عنوان: «حديث المعمر المشرقي»:

«هذا رجل مقيم ببلاد العجم من أرض الجبل يذكر أنه رأى أمير المؤمنين عليه السلام، ويعرفه الناس بذلك على مرّ السنين والأعوام، ويقول إنه لحقه مثل ما لحق المغربي الشجة في وجهه، وأنّه صحب أمير المؤمنين عليه السلام وخدمه. وحدثني جماعة مختلفو المذاهب بحديثه وأنهم رأوه وسمعوا كلامه، منهم أبو العباس أحمد بن نوح بن محمد الحنبلي الشافعي، حدثني بمدينة الرملة في سنة إحدى عشرة وأربعمائة، قال: كنت متوجها إلى العراق للنفقة [للتفقه] فعبرت بمدينة يقال لها شهرورد من أعمال الجبل قريبة من زنجان وذاك في سنة خمسين وأربعمائة، فقيل لي: إن ههنا شيخا يزعم أنه لقي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فلو صرت إليه ورأيته لكان ذلك فائدة عظيمة، قال: فدخلنا عليه فإذا هو في بيته يعمل النوار وإذا هو شيخ نحيف الجسم مدور اللحية كبيرها وله ولد صغير ولد له منذ سنة، فقيل له: إنّ هؤلاء القوم من أهل العلم متوجهون إلى العراق يحبون أن يسمعوا من الشيخ ما قد لقي من أمير المؤمنين عليه السلام. فقال: نعم، كان السبب في لقائي له أنّي كنت قائمًا في موضع من المواضع فإذا أنا بفارس مجتاز فرفعت رأسي فجعل الفارس يُمِرُّ يده على رأسي ويدعو لي، فلما أن عبر أُخبرت بأنه علي بن أبي طالب عليه السلام فهرولت حتى لحقته وصاحبته. وذكر أنه كان معه في تكريت وموضع من العراق يقال له تل فلان بعد ذلك وكان بين يديه يخدمه إلى أن قبض عليه السلام، فخدم أولاده.

قال لي أحمد بن نوح: رأيت جماعة من أهل البلد ذكروا ذلك عنه، وقالوا إنا سمعنا آباءنا يخبرونا عن أجدادنا بحال هذا الرجل، وأنه على هذه الصفة، وكان قد مضى فأقام بالأهواز، ثم انتقل عنها لأذية الديلم له، وهو مقيم بسهرورد.

وحدثني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أحمد القمي رحمه الله أنّ جماعة حدثوه بأنّهم رأوا هذا المعمر وشاهدوه وسمعوا ذلك عنه.

وحدثني بحديثه أيضا قوم من أهل سهرورد وصفوا لي صفته، وقالوا هو يعمل الزنانير»[1].

(١) كنز الفوائد، ص٢٦٧ وعنه بحار الأنوار، ج٥١، ص٢٦١ ـ ٢٦٢، وإلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، ج١، ص٢٧٢.

ثانيًا: تفنيد القصة

ولنا على ما ذكره الكراجكي حول قصّة المعمر المشرقي عدة تعليقات:

أولًا: إنّ علامات الكذب بادية على رواية الشيخ أحمد بن نوح، (محدث الكراجكي بقصة المعمر المشرقي في مدينة الرملة)، وأولى تلك العلامات، أنّ ظاهر كلامه أنه قصد العراق للتفقه، وفي طريق العراق عبر مدينة سهرورد وتعرف فيها على المعمر المشرقي!! وهذا يكشف عن جهله بخارطة البلدان، فمن أين لساكن الرملة أن يمر بسهرورد وهي واقعة في الشمال الغربي لإيران؟! ومن أوضح علامات الوضع في الخبر أنّ الكراجكي يذكر أنه سمع القصة من أحمد بن نوح في سنة ٤١١هـ، بينما أحمد بن نوح في ثنايا القصة يذكر أنه دخل سهرورد والتقى بالمعمر في سنة ٤٥٠هـ!! فإذا صح هذا التاريخ فهذا يعني أنه حدثه بقضية ستحدث معه بعد عدة عقود، على أنّ وفاة الكراجكي هو في سنة ٤٤٩هـ، أي قبل التقاء ابن نوح بالمعمر المشرقي بسنة!! إلّا أن يكون قد حصل تصحيف في التاريخ الثاني فأبدلت الخمسة بالخمسين، أي كان التاريخ هو سنة خمسة وأربعمائة[1]، فصحفت بخمسين وأربعمائة.

ثانيًا: إنّ الجماعة الذين حدثوا الكراجكي بحديث المعمر المشرقي غير معروفين ولم تثبت لنا وثاقتهم، ولا ندري كيف وثق الكراجكي على جلالته

---

(١) وهكذا ورد التاريخ في إلزام الناصب، ج١، ص٢٧٢. ولعله تصحيح منه، لأن الموجود في المصدر والبحار هو «خمسين وأربعائة».

بحديثهم؟! وما هي الأمارات التي أوجبت الركون إلى قولهم؟! وأولهم شيخه الرملي وهو أحمد بن نوح، فهو ممن لا نعثر له على ترجمة في كتب الرجال، وجمع هذا الرجل بين وصفي الحنبلي الشافعي كما جاء في كلام الكراجكي هو أمر يبعث على التدقيق في أمره! وأما شيخه الآخر وهو أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أحمد القمي فهو الآخر ممن لا تعرف وثاقته ولا ذكر له في التراجم! وجلالة قدر الكراجكي[١] لا تغني عن ثبوت وثاقة مشايخه، ووثوقه في القضية ليس حجة على غيره.

ثالثًا: لم يعثر على خبر هذا المعمر في المصادر، ولم يذكر اسمه، والحال أنّه لو كان موجودًا لاشتهر وبان وسارت بخبره الركبان وتوترات الأخبار بنقل قصته، ولا سيما أنه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقد خدمه ومن ثم انخرط في خدمة أبنائه عليهم السلام، وشخصية كهذه لو كانت لما جهل أمرها ولم يعرف خبرها، حتى أن اسمه ونسبه واسم عشيرته أو مدينته كله مجهول وغير معروف.

رابعًا: أين هو هذا المعمر؟ ما دام أنه سيبقى حيًا إلى زمن المهدي المنتظر عجل الله له الفرج؟! فأين هو الآن؟ هل لا يزال في سهرورد أم هاجر منها إلى غيرها؟ ولمَ لم ينقل أحد خبره وأنه شاهده بعد ذلك الوقت؟! أليس من المفترض ـ بحسب طبيعة الأمور ـ أن يشتهر ذكره ويطير

---

(١) وصفه الشيخ الحر بقوله: «عالم فاضل متكلم فقيه محدث ثقة جليل القدر»، أمل الآمل، ج٢، ص٢٨٧، وقال السيد الأمين: «من أجلة العلماء والفقهاء والمتكلمين، رأس الشيعة، صاحب التصانيف الجليلة، كان نحويا لغويا عالما بالنجوم طبيبا متكلما فقيها محدثا، أسند إليه جميع أرباب الإجازات، من تلامذة الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي، روى عنهم وعن آخرين من أعلام الشيعة والسنة، وروى عنه وقرأ عليه جماعة من علماء عصره. كان نزيل الرملة، وأخذ عن بعض المشائخ في حلب والقاهرة ومكة وبغداد وغيرها من البلدان، وتوفي بصور، ثاني ربيع الاخر سنة أربعمائة وتسع وأربعين هجرية»، أعيان الشيعة، ج٩، ص٤٠١.

خبره في الآفاق، لا سيما في عصرنا حيث وسائل الإعلام على شتى أنواعها، وحيث الاهتمام البالغ بالظواهر العجيبة، ورصد الأشخاص المعمرين في العالم؟! فلو كان حيًا لشكل ظاهرة غريبة تدفع الأطباء إلى درسها لمعرفة أسباب العمر الطويل!

الفصل التاسع

كيف وثق العلماء بهذه القصة وأمثالها؟

- الذهنية الخاصة
- قرائن احتمالية

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا: إذا كانت قصة المعمر المغربي ونظائرها هي أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة، فكيف وثق بعض علمائنا بها وبأمثالها وسجلوها في كتبهم ودونوها في مصنفاتهم؟

يمكن أن يذكر أكثر من سبب أو دافع لذلك، ونحن نشير إلى اثنين منها:

أولًا: الذهنية الخاصة

يظهر من السيد الخوئي أن مردّ ذلك إلى السذاجة التي قد يتصف بها العالم، يقول متحدثًا عن وثوق الشيخ الحرفوشي بما حدثه به الرجل الذي ادعى أنّه المعمر المغربي ـ بعد أن ينص على أنّ الحكاية هي من أغرب ما يكون ـ بالقول: «لا شكّ في أنّ الشيخ محمد الحرفوشي كان رجلًا ساذجًا، إذ كيف حصل له الاطمئنان بصدق الرجل! وبأي صفة أو علامة يمكن الجزم بصدقه؟! ثم كيف صح لأبي الدنيا أن يجيز الشيخ محمد بكتب الأخبار مع أنه لم يقع في إسنادها وهو أجنبي عنها بالمرة، فالقصة خيالية أو مكذوبة لا محالة»[1].

إنّه يريد القول: إنّ الشيخ الحرفوشي من الطيبة وسلامة الطوية ما يجعله يصدق الأخبار التي تنقل إليه بسرعة، ولذا وثق بالشخص الذي أخبره أنه المعمر المغربي، فاستجازه وسمع منه.

واللافت أنّ للحرفوشي ولدًا عالمًا جليلًا هو الشيخ إبراهيم الحرفوشي (١٠٨٠هـ) ويبدو أنه ورث خصال والده، ولذا رأيناه يروي قصّة فيها من الغرابة ما يقرب من قصة المعمر المغربي المروية عن أبيه، وهي قصة قاضي الجن[2]، انظر: الملحق الأول آخر الكتاب.

---

(١) معجم رجال الحديث، ج١٣، ص٩٨.

(٢) يقول السيد محمد باقر الموسوي الخونساري تعليقًا على سند حديث «قاضي الجن» المزعوم: «وهذا من غريب الإسناد ولا يداني هذه الرواية شيء في علو السند غير حديث قاضي الجن الذي نقله السيد حسين ابن السيد حيدر الكركي العاملي بإسناده الطريف عن المولى جلال الدواني عن وسائط ثلاث أخرين»، روضات الجنات، ج٧، ص٨٧.

أقول: إنه بملاحظة ما ذكرناه في الفصل السادس يتّضح أنّ الاستغراب الذي سجله السيد الخوئي في محله، والانطباع الذي خرج به غير بعيد عن الصواب، ولكن هذا الاستغراب أو الانطباع لا ينحصران بالشيخ محمد الحرفوشي رحمه الله[١]، بل يمتدان وينسحبان على كل الذين وثقوا بقصة لقاء الحرفوشي بالمعمر المغربي وأدرجوها في كتبهم، من أمثال السيد نعمة الله الجزائري (وإن كان الجزائري لم يضمن صحة القضية كما سنشير) والسيد هاشم الأحسائي الذي حدث الجزائري بهذه القصة، وكذلك العلامة السيد حسن الصدر، والذي فاخر بأنّ له إسنادًا عاليًا إلى رواية الأحاديث عن الأئمة عليهم السلام يمر بواسطة المعمر المغربي، قال رحمه الله: «وصحّ لي بحمد الله الرواية من عدة طرق عالية عن السيد العلامة السيد نصر الله الحائري عن الشيخ صالح صاحب الترجمة[٢]عن الشيخ الجليل محمد الحرفوشي عن ابن أبي الدنيا المعمر المغربي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من الطرق العالية التي رزقناها، وهذا مما يتنافس عليه أهل العلم بالحديث في علوم الإسناد. وقد ذكرت طرق اتصالي بهذا الطريق العالي في إجازتي الكبيرة لبعض علماء الهند المسماة بـ «بغية الوعاة في طبقات مشايخ الإجازات»[٣]. إلى غيرهم من العلماء الذين وثقوا بالقصة ومنهم الشيخ النوري[٤] والسيد علي البروجردي (ت ١٣١٣هـ)[٥]، والشيخ علي اليزدي الحائري صاحب إلزام

(١) الشيخ محمد الحرفوشي، عالم لغوي أديب شاعر، وهو من آل حرفوش، وهم أمراء بعلبك المعروفون، وقد ترجم له الشيخ الحر في أمل الآمل، وغيره من الأعلام، انظر: أعيان الشيعة، ج١٠، ص٢٢.

(٢) يقصد به الشيخ صالح بن سلمان العاملي.

(٣) تكملة أمل الآمل، ص٢٣٢.

(٤) جنة المأوى، المدرج في بحار الأنور، ج٥٣، ص٢٧٩. والنجم الثاقب، ج٢، ص٣٣٠. وقد يظهر من تلميذه الآغا بزرك التهراني الوثوق بالقصة، انظر الذريعة، ج١٣، ص١٥٩، وج ١٨، ص٢٥٩.

(٥) قال رحمه الله بعد نقل كلام السيد الحزائري في الأنوار النعمانية: «أقول: سيجيء في الخاتمة=

الناصب (١٣٣٣هـ)[١]، وهكذا العلماء السابقون الذين وثقوا بقصة المعمر المغربي في ظهوره الأول في القرن الرابع الهجري، وسجلوها في كتبهم، من أمثال الكراجكي والشيخ الصدوق، وغيره من العلماء.

أجل، إنّ السيد نعمة الله الجزائري لم يضمن صحة قصة لقاء الحرفوشي بالمعمر المغربي ـ كما ألمحنا ـ حيث قال في مقدمة شرحه لكتاب عوالي اللآلي: «وأمّا أنا فأضمن ثقة المشايخ: السيد والشيخ، وتعديلهما وورعهما، ولكني لا أضمن وقوع الأمر في الواقع على ما حكيت»[٢].

بيد أنّ سبطه، وهو العالم الجليل السيد عبد الله الجزائري لم ير ضرورة لارتياب جده بشأن القصة، فقال: في إجازته لأربعة من علماء الحويزة، بعد نقل كلام جده: «وكأنه رضي الله عنه استنكر هذه القصة، أو خاف أن تُنكر عليه فتبرّأ من عهدتها في آخر كلامه، وليست بذلك، فإن معمر بن أبي الدنيا المغربي له ذكر متكرر في الكتب»[٣]. أقول: قد عرفت في فصل سابق حال الرواية، وظهر لك أنّ ارتياب المحدث الجزائري في محله، بل عرفت أنّ القصة غير قابلة للتصديق.

بالعودة إلى سبب وثوق العلماء بأمثال هذه القصص، نقول: إنّ الناس

=طريقي إلى السيد نعمة الله الجزائري، فيتصل إلى أبي الدنيا بواسطتين، فما يكون طريق أعلى وأقصر منه بل ولا أصح» ثم إنه يتعجب من الوحيد البهبهاني لعدم توثيق المعمر المغربي والاكتفاء بحسن حاله، يقول: «والعجب من المولى الوحيد البهبهاني أنه مع فرط مبالغته في التوثيقات بأدنى مقرب وأمارة ضعيفة، لعله لا يعتمد على مثلهما أساطين الرجاليين، كما يشهد به ملاحظة «تعق» كيف استظهر من الأخبار حسن حاله في الجملة مع أن أبا الدنيا غير خفي الحال، لم يطعن عليه في شيء، ويكفي في حقه الوصول إلى خدمة الأئمة والملازمة»، طرائف المقال، ج٢، ص٤٠٩.

(١) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، ج١، ص٢٧١.

(٢) جنة المأوى، المدرج في بحار الأنور، ج٥٣، ص٢٧٩.

(٣) الإجازة الكبيرة، ص٨١.

على أصناف في التعامل مع المعلومات الغريبة والأحداث الخارجة عن الطبيعة والمألوف، لجهة سرعة تصديقها والقبول بها، أو سرعة رفضها وتكذيبها، أو التريث في شأنها، فمنهم من يسارع إلى التصديق، ومنهم من يسارع إلى الرفض والتكذيب، ومنهم من يتريث في الأمر فلا يسارع إلى التصديق والتكذيب، وإنما يتحرى ويدقق فيما يسمع ويدرس المسألة من جميع جوانبها ويقلبها من كافة وجوهها ويسأل ويستشير أهل الخبرة، ولا يُسلّم للدعاوى بل يطلب عليها الدليل والبرهان، ولا تخدعه الظواهر ولا تغره المظاهر، والصنف الثالث باعتقادي، هو الذي يحالف الحكمة والصواب، وينسجم مع ما يمليه العقل السليم، وما يرشد إليه الذكر الحكيم[1]، فإنّ الغرائب والخوارق لا يمكن نفيها بالمطلق، ولكن ليس من الحكمة ولا الصواب في شيء الإسراع إلى تصديقها، لأنّ ما كان خلاف القوانين، ويمثل استثناءات، يحتاج إلى مبرر ثبوتي لحصولها، ويحتاج إلى دليل إثباتي للتصديق بها والقطع بحدوثها، ودليل إثباتها المورث للقطع أو الاطمئنان لا يكون شبيهًا بدليل إثبات المسائل العادية، ففي العاديات قد يحصل القطع أو الاطمئنان بعدد قليل من المخبرين أو باجتماع بعض القرائن، وأما في الخوارق والكرامات فلا يحصل القطع أو الاطمئنان إلّا بأضعاف ذلك العدد من القرائن أو الشهود.

وانقسام البشر إلى الأصناف الثلاثة المذكورة أمرٌ مرده إلى التركيبة الذهنية للإنسان، ولا علاقة له بمستواه العلمي، ولهذا لا ينحصر وجود هذه الأصناف في عامة الناس، بل الأمر يمتد إلى شريحة العلماء أيضًا، فإنّ العلم قد لا يغيّر الذهنية البشرية، فكمْ من عالم سريع القطع (قطاع) والتصديق بما يسمع، وكم من عالم تستبد به الاحتمالات والشكوك فلا

(١) قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران ـ ٦٦]، وغير ذلك من الآيات التي ذكرناها في الفصل الأول، فراجع.

يحصل له القطع حتى في المتواترات، وفي مقابل إفراط هؤلاء وتفريط أولئك كم من عالم متوازن في نظرته للأمور، فلا يسارع لا إلى التصديق ولا إلى التكذيب وإنما يضع غرائب الحكايا التي يسمعها في بقعة الإمكان إلى أن يذوده عنها أو يسوقه إلى الاعتقاد بها واضح البرهان..

إنّ ما ألمحنا إليه من أنّ الشيخ الصدوق هو من الصنف الذي يسارع إلى التصديق قد تشهد به الكثير من روايات كتبه، وسيأتي في الملحق أنّه قد وثق بقصة قاضي الجنة، وقصص أخرى.

إنّ وثوق الصدوق بأمثال هذه الروايات يعود إلى ذهنيته الخاصة البعيدة عن التدقيق والتي تدفعه إلى تقبل الروايات، ولا سيما ذات الطابع الفضائلي، وقد أشار إلى هذا الأمر الشيخ محمد جواد البلاغي، قال وهو يبيّن، سبب اعتماد الصدوق على كتاب التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: «وأما اعتماد الصدوق فبعد النظر في بعض مروياته يهون الأمر، فإنه روى في آخر المجلس الرابع والأربعين من أماليه في شأن إطعام أمير المؤمنين عليه السلام للمسكين واليتيم والأسير شعرًا لأمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام لا يرتاب العارف بشأنهما في كذب نسبته لهما لما فيه من الركاكة والإلحان واختلال الوزن، إذ روى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للزهراء عليها السلام عند سؤال المسكين:

فاطم ذات المجد واليقين يا بنت خير الناس أجمعين»[1]

ثم أردف الحجة البلاغي قائلًا: «وإن التفسير المذكور مما يبتهج به ويصغي إليه المولى المحدث الحريص على كثرة السماع والرواية لما فيه من أحاديث الولاء وفضل أهل البيت عليهم السلام فتعتري الغفلة عما فيه مما سنذكر

(١) انظر: رسالته حول التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، المنشورة في كتاب: الرسائل الأربعة عشر، ص١٦٧.

بعضه مما لا يسع غض ولا يجدي فيه تكلف التأويل»[١]. والحقيقة أن بعض تأليفات الصدوق تشهد لهذا الأمر، فهو على سبيل المثال يأخذ بأخبار العدد التي تقول: إن شهر رمضان تام أبدًا[٢]، وهو الأمر الذي أبطله المفيد وفقهاء الطائفة. وهو أيضًا من الآخذين بروايات سهو النبي ﷺ تبعًا لشيخه ابن الوليد[٣].

ومن هذا الصنف من العلماء أيضًا المحدث النوري، والذي وثق ليس برواية المعمر المغربي فحسب بل وثق بنظائرها من قبيل قصة «بابا رتن» الهندي المشابهة لها في الغرابة والوهن، وبقصة الجزيرة الخضراء، ووثق أيضًا بأخبار تحريف الكتاب وغيرها من الروايات التي جمعها في العديد من كتبه، مع أنّ كثيرًا منها لا يسمن ولا يغني من جوع، يقول السيد الخميني في الرد على كتاب «فصل الخطاب» للشيخ النوري: «وأزيدك توضيحًا أنّه لو كان الأمر كما توهم صاحب فصل الخطاب الذي كان [ما] كتبه لا يفيد علمًا ولا عملًا، وإنّما هو إيراد روايات ضعاف أعرض عنها الأصحاب، وتنزه عنها أولو الألباب من قدماء أصحابنا كالمحمدين الثلاثة المتقدمين رحمهم الله. هذا حال كتب روايته غالبًا كالمستدرك، ولا تسأل عن سائر كتبه المشحونة بالقصص والحكايات الغريبة التي غالبها بالهزل أشبه منه بالجد، وهو رحمه الله شخص صالح متتبع، إلّا أنّ اشتياقه لجمع الضعاف والغرائب والعجائب وما لا يقبلها العقل السليم والرأي المستقيم، أكثر من الكلام النافع»[٤].

---

(١) الرسائل الأربعة عشر، للشيخ رضا الاستادي، ص١٦٨.

(٢) نقله في قاموس الرجال، ج٩، ص٤٣٦.

(٣) قال: «وكان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله يقول: أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ، ولو جاز أن ترد الأخبار الواردة في هذا المعنى لجاز أن ترد جميع الأخبار وفي ردها إبطال الدين والشريعة. وأنا أحتسب الاجر في تصنيف كتاب منفرد في إثبات سهو النبي ﷺ والرد على منكريه إن شاء الله تعالى»، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٦٠.

(٤) أنوار الهداية، ج١، ص٢٥٤.

إن المحدث النوري على الرغم من أنه رجل من أكابر العلماء ومتتبع وهو نفسه قد واجه الأكاذيب التي أدخلها البعض على السيرة الحسينية أو على الزيارات في كتابه القيم «اللؤلؤ والمرجان»، لكنه في سائر كتبه جمع الكثير من الأخبار التي لا يمكن التعويل عليها ولا الوثوق بمصادرها، وقد أوضحنا ذلك في كتاب «حاكمية القرآن».

قد يقال: إنّ سرعة التّصديق والاعتقاد، هي صفة مدح في الشخص، كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ـ ٦١] قال الشيخ الأنصاري: «أن المراد بالأذن سريع التصديق والاعتقاد بكل ما يسمع»[1].

والجواب: «أنّ هذا المعنى لا يناسب مرتبة النّبوّة سيّما نبوّة نبيّنا ﷺ، لأنّ سرعة الاعتقاد بكل ما يسمع تنشأ من عدم اعتدال المزاج، وهو فيه لا بدّ أن يكون معتدلًا». هذا بطبيعة الحال «لو كانت سرعة الاعتقاد ناشئة من عدم الفطانة وإلّا فلو نشأت من حسن الظنّ بالنّاس وعدم اتّهامهم فهي لا تنافي اعتدال المزاج، كيف لا وحسن الظنّ بهم وعدم اتهامهم في أقوالهم وأفعالهم من الصّفات الحسنة»[2]، والظاهر أن الشيخ الأنصاري ناظر إلى سرعة التصديق من باب حسن الظن بالمؤمنين كما يظهر من تتمة كلامه.

(١) فرائد الأصول، ج١، ص٢٩٢.

(٢) أوثق الوسائل في شرح الرسائل، ص١٥٩.

ثانيًا: قرائن احتمالية

هذا وربما يقال: إن الحكايات والقصص المذكورة حيث لا يمكن نفي صحتها جزمًا فاحتمال حصولها وتحققها يبقى قائمًا وإن كان ضعيفًا، وعليه، فيكون مبرر تدوينها في الكتب هو صلاحيتها لتشكل قرائن احتمالية وفي حال تجمعها وضمها إلى قرائن أخرى فإنها تورث اليقين أو الاطمئنان بحساب الاحتمال.

ولكننا نلاحظ على ذلك:

إنّ هذه الحكايات والقصص لو لم نجزم بكذبها فهي غير نافعة بل إنها قد تكون ضارة، وهي لو كانت تقرب من جهة، فإنها تبعد من جهات عديدة، لما تتضمنه من نكارة، وتدوينها وترويجها قد يغدو مستمسكًا بيد البعض للتشكيك في المفهوم العقدي نفسه، مع أنها مما لا يتوقف إثبات المفاهيم العقدية والقضايا الدينية عليها ولا ينحصر الاستدلال بها، فعقائدنا الدينية تمتلك أدلة قوية ومتماسكة من العقل أو النقل، ولسنا بحاجة في إثباتها إلى أمثال هذه الوجوه الواهية، والقصص الأسطورية المتهافتة، ولذا فالأجدى بأهل العلم أن يتمسكوا في مقام الاستدلال بالحجج المحكمة والبراهين الساطعة ويدعوا الأساطير والأوهام لأهلها. وحساب الاحتمال وإن كان طريقًا عقلائيًا يمكن الاعتماد عليه في الاستدلال، لكن العقلاء إنما يعمدون إلى تجميع القرائن الاحتمالية المعتد بها والتي لا تكون علامات الكذب لائحة عليها ولا تكون محفوفة بقرائن هي على عكس المطلوب أدل.

خاتمة

نتائج وخلاصات

وفي محصلة هذه الدراسة نشير إلى أهمّ النتائج والخلاصات التي توصلنا إليها:

أولًا: إنّ قصة المعمر المغربي لا يمكن الوثوق بها، لأن القرائن المتعددة لا تساعد على تصديق الرجل ولا التعويل على كلامه، هذا لو كان بالفعل شخصيّة حقيقية، ولها وجودها الواقعي.

ثانيًا: إنّ فكرنا الديني يحتاج إلى مراجعات عديدة، لأنّه قد ابتنى في بعض الأحيان على استدلالات واهية وضعيفة، الأمر الذي يسيء إلى أصالة هذا الفكر، ويكون مبعثًا للشك لدى كثيرين في المبادئ الدينية نفسها. فقضية بأهمية العقيدة المهدوية لا يصحّ أن نتشبث لإثباتها أو إثبات بعض تفاصيلها بقصص ملفقة أو غير واقعية. إننا معنيون بإثبات عقائدنا على أسس متينة استنادًا إلى العقل القطعي أو النقل الصحيح والموثوق بصدوره.

ثالثًا: إنّ حسن الظن بالعلماء المتقدمين، لا يجوز أن يدفعنا للقبول والتسليم بكل ما ذكروه وأوردوه في كتبهم، أو حدثوا به تلامذتهم، فإنّ بعضهم على جلالته وتدينه ربما كان صاحب ذهنية لا تخلو من بساطة وسذاجة تدفعه لتصديق ما يسمع من الغرائب والعجائب.

رابعًا: إنّ النقاش في قصة هذا المعمر أو ذاك، لا يعني رفض فكرة العمر الطويل للأشخاص، فهذا الأمر ليس مستحيلًا، بل هو يتصف

بالإمكان العقلي والعلمي والتاريخي والديني، وهو ما نعتقد به بالنسبة للإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى له الفرج.

الملاحق

- قصة قاضي الجن
- المعمر الهندي بابا رتن
- ادعاء البابية والسفارة والمهدوية والرؤية

الملحق (١)
قصة قاضي الجن

- **من هو قاضي الجن؟**
- **حديث قاضي الجن**

ذكرنا في ثنايا البحث أنّ الشيخ إبراهيم الحرفوشي روى حديث قاضي الجن، فما هو هذا الحديث؟ وما هي قصته؟

١ ـ من هو قاضي الجن؟

قاضي الجن الذي نتحدث عنه هو قاضٍ من الجن، عرّفتْ عنه الرواية الآتية بأنه حاكم المسلمين، وقد أصدر حكمًا مستندًا فيه على رواية عن رسول الله ﷺ.

وهناك بعض الأشخاص سمّوا بقاضي الجن هم من البشر، وقد زُعم أنهم قضوا بين الإنس والجن، ومن هؤلاء اثنان، وهما:

الأول: محمد بن عبد الله بن علاثة، وكان قاضيًا للمهدي العباسي[١]، يقال له قاضي الجن! «وذلك أن بئرا كانت بين حران وحصن مسلمة فكان من يشرب منها خبطته الجن قال: فوقف عليها فقال: أيها الجن إنا قد قضينا بينكم وبين الإنس فلهم النهار ولكم الليل، قال: فكان الرجل إذا

(١) سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٣٠٨.

استسقى منها بالنهار لم يصبه شيء»[١]، ووثاقة الرجل مختلف فيها عند علماء الجرح والتعديل، قال ابن سعد: «ثقة إن شاء الله، حراني، ولي معه القضاء عافية. وقال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال أبو زرعة: صالح الحديث. وقال البخاري: في حفظه نظر. وقال الأزدي: حديثه يدل على كذبه»[٢].

الثاني: «علي بن الحسن، بن الحسن، بن محمد الخلعي، نسبة إلى بيع الخلع، وهو من أصحاب الشافعي، وقبره معروف بالقرافة، والدعاء عنده مستجاب. وكان يقال له قاضي الجن أنه أخبر أنهم كانوا يأتون إليه، ويقرؤون عليه، وأنهم أبطؤا عنه جمعة ثم أتوه فسألهم عن ذلك فقالوا: كان في بيتك شيء من الأترج وإنا لا ندخل بيتا هو فيه. قال الحافظ أبو طاهر السلفي: وكان الخلعي إذا سمع عليه الحديث يختم مجلسه بهذا الدعاء: اللهم ما مننت به فتممه، وما أنعمت به فلا تسلبه، وما سترته فلا تهتكه، وما علمته فاغفره. توفي في شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة»[٣].

والشخصان المذكوران غير مقصودين بالخبر الآتي، لأنه يتحدث عن قاض هو من الجن حقيقة، وقد أصدر حكمًا بحق إنسي استنادًا إلى خبر سمعه من رسول الله ﷺ.

٢ ـ حديث قاضي الجن

والخبر الذي رواه قاضي الجن عن رسول الله ﷺ هو: «من تزيّى بغير زيه فقتل فلا قود ولا دية». وذكر السيد الخونساري في روضات الجنات أنّه رأى في «مجموعة إجازات» من تأليف الشيخ إبراهيم الحرفوشي رواية

---

(١) تاريخ بغداد، ج٣، ص٨. وقد توفي بن علاثة في سنة ١٦٣هـ، أو سنة ١٦٨هـ تهذيب الكمال للمزي، ج٢٥، ص٥٢٨.

(٢) سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٣) حياة الحيوان، ج١، ص٣٠٧.

حديث قاضي الجن على النحو التالي: «حدثني المولى الفاضل الجليل مولانا تاج الدين حسن الأصفهاني الفلاورجاني قال: حدثنا المولى المحقق خواجه جمال الدين محمود السدادي السلماني، قال: حدثنا المولى العلامة جلال الدين بن أسعد الدواني، الشيرازي. وأخبرني السيد الفقيه الصدر السعيد الشاه أبو الولي ابن السيد المحقق الشاه محمود الحسني الشيرازي، قال أخبرني المولى المحقق مولانا خواجة جمال الدين محمود، قال أخبرني العلامة الدواني. وأخبرني أيضا المولى المحقق المدقق الشيخ منصور المشتهر براست كو شارح تهذيب الوصول إلى علم الأصول، عن واحد، عن العلامة الدواني، قال أخبرني مشافهة السيد الإمام حقيقة الأئمة الاعلام السيد صفي الدين بن عبد الرحمن الحسيني الإيجي حديث الجن عن رسول الله ﷺ: «من تزيّى بغير زيه فقتل، فلا قود ولا دية». وصلى الله على سيدنا محمد وآله»[1].

وحديث قاضي الجن قد رواه المجلسي عن والده بسندين إلى المحقق الدواني عن السيد صفي الدين بن عبد الرحمان الحسيني الإيجي قال: «كنا مع السيد صفي الدين في بعض الأسفار فذهب إلى الخلاء، فأبطأ عنا زمانا طويلا ثم أتانا وأخبر أنه لما جلس لقضاء الحاجة ظهرت له حية عظيمة فقتلها، فثارت غبرة عظيمة وظهرت له من بينها أشخاص من الجن فأخذوه وذهبوا به إلى أميرهم وكان كافرا وادَّعوا علي أنه قتل منا رجلا، فسألني عن ديني، فأخبرته أنّي على دين الإسلام، فقال: اذهبوا به إلى حاكم المسلمين فأتوا به إلى رجل شايب وقع حاجباه على عينيه، فاستعدوا عليّ عنده، فسألني عما يدّعون عليّ؟ فقلت: إني لم أقتل رجلًا، وإنما قتلت حية ظهرت لي، مخافة على نفسي، فقال: خلوا عنه، فإني سمعت رسول الله

(١) روضات الجنات، ج٧، ص٨٩، أعيان الشيعة، ج٢، ص٢١٦، وتكملة أمل الآمل السيد حسن الصدر، ص٨٥.

قال: «من تزيّى بغير زيه فدمه هدر»، فجاؤوا بي إلى المكان الذي أخذوني منه وتركوني وذهبوا عني»[١].

وتعليقًا على هذا الحديث نقول:

أولًا: إن ما تضمنه الحديث من قدرة الجن على اختطاف الإنس، هو أمر لم يثبت بالدليل، فإنه على فرض إمكانية التواصل بين الجنسين ـ كما لا يبعد ـ بيد أنه لا سلطة للجن على الإنس إلى هذا المستوى، كما أوضحنا ذلك في دراسة خاصة[٢]، وما ينقل حول ذلك هو قصص وحكايات لا مجال لإثبات صحتها، وإنْ لم يكن ثمة مجال للجزم بكذبها جميعًا.

ثانيًا: إنّه لا دليل على صدق قاضي الجان المذكور فيما أخبر به عن رسول الله ﷺ، وعلى فرض صدقه فلا حجية في قوله، لأن هذا الطريق لأخذ الشريعة لم تثبت حجيته شرعًا، فحاله حال من رأى النبي ﷺ في المنام وأخبره بأمر، وقد بحثنا عدم حجية المنام المذكور في كتاب فقه السلامة الصحية التدخين أنموذجًا، فليراجع.

والغريب أنّ حديث قاضي الجن قبل أن ينتشر عند الشيعة، وجدنا له أصلًا عند السنة، وقصةً شبيهة بالقصة المذكورة عندنا، مع اختلاف بسيط[٣]. وقد وصفه بعض علماء السنة بأنه لا أصل له، قال السخاوي

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٠، ص١٢٧، وج ١٠٧، ص١٢٣.

(٢) انظر: ظواهر ليست من الدين، ص٣٤ وما بعدها.

(٣) قال السخاوي (٩٠٢هـ): «أبو بكر بن أحمد بن محمد المشيرقي روى لنا عن المحب بن الشحنة أنه قال رحلت في خدمة الخطيب ناصر الدين بن عشائر إلى القاهرة فلما نزلنا الصالحية ذكر لنا أنّ شيخًا بها اختطفه الجن، وفي الظن أنه سماه محمدًا، وهو مشهور عندهم بالمخطوف، فاجتمعنا به، فذكر لنا أنه قتل وزغة بجامع الصالحية فاختطف واحتوشه جماعة من الجن كل يدعى أنه قاتل قريبه فلقنه شخص طلب شرع الله فصاح بقوله شرع الله شرع الله فأحضر إلى شخص هو القاضي جالس على كرسي وعلى رأسه برنس فادعى عليه عنده فأنكر فسأل القاضي المدعي في أي صورة ظهر قريبك فقال في صورة وزغة فالتفت إلى من عنده وقال ألم يخبرنا علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من=

(ت: ٩٠٢هـ): «من تزيى بغير زيه، فقتل، دمه هدر» ليس له أصل يعتمد عليه، ويحكى فيه حكايات منقطعة أن بعض الجان حدث به إما عن علي مرفوعًا وإما عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بلا واسطة مما لم يثبت فيه شيء»[١]. والكلام المذكور للسخاوي نقله عنه وتبناه كل من الفتني (٩٨٦هـ) في تذكرة الموضوعات[٢]، والملا علي القاري[٣] والعجلوني[٤].

وهذا الأمر يذكرني بحديث صلاة الرغائب، فإنّها انتشرت عند السنة، ثم تسربت إلى الفضاء الشيعي، وهذا الأمر له نظائر، ومنها حديث الباذنجان[٥]، وأخال أنه يشكل ظاهرة تحتاج إلى دراسة مستقلة تبحث في أسبابه وتأثيراته[٦].

=تزيّى بغير زيه فقتل فدمه هدر دعوه ثم سأله هل تحسن قراءة القرآن فقال نعم فعرض عليه أن يقيم عندهم ليعلمهم فأبى وذكر له أنه قرأ الفاتحة على علي..»، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١١، ص٢٥.

(١) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، السخاوي، محمد بن عبد الرحمان، (٩٠٢هـ)، تحقيق، سفيان بن فؤاد با سويدان، ط١، ١٤٣٩هـ، دار الميمنة للنشر والتوزيع، سوريا ـ دمشق، ج٥، ص٦٥ ـ ٦٧.

(٢) تذكرة الموضوعات، ص١٥٨.

(٣) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ص٣٢٥.

(٤) كشف الخفاء، ج٢، ص٢٣٩.

(٥) درسناه في كتاب الشيعة والغلو، فراجع.

(٦) تحدثنا في تمهيد كتاب فقه العلاقة مع الآخر المذهبي عن هذه النقطة، فراجع.

الملحق (٢)
المعمر الهندي بابا رتن

- **قصة بابا رتن كما يرويها**
- **مؤشرات كذب الرجل**
- **موقف العلماء من حديث بابا رتن**

وثمة قصة أخرى تحكى عن معمّر من بلاد الهند، وهو أبو الرضا بابا رتن بن كربال بن رتن البترندي، ظهر في بلاد الهند بعد القرن السادس الهجري، وادعى الصحبة، وحدث بأحاديث كثيرة، وقد وثق بقصته بعض علمائنا[١] وعدوها من جملة الشواهد على تحقق العمر الطويل، وهذا موجز عن قصته، وبعض الدلائل والشواهد على كذبه، مع نقل كلمات بعض العلماء الذين كذبوه:

١ ـ قصة بابا رتن كما يرويها

قال صلاح الدين الصفدي (٧٦٤هـ): «نقلت من خط علاء الدين علي بن مظفر الكندي حدثنا القاضي الأجل العالم جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن إبراهيم الكاتب من لفظه في يوم الأحد خامس عشر

---

(١) منهم المحدث النوري، كما سيأتي، ومنهم الشيخ علي اليزدي الحائري في إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، ج١، ص٢٧٧.

ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبع مائة بدار السعادة بدمشق المحروسة قال أخبرنا الشريف قاضي القضاة نور الدين أبي عبد الله محمد بن الحسين الحسيني الأثري الحنفي من لفظه في العشر الآخر من جمادى الأولى عام إحدى وسبع مائة بالقاهرة قال أخبرني جدي الحسين بن محمد قال كنت في زمن الصبا وأنا ابن سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة سنة سافرت مع أبي محمد وعمي عمر من خراسان إلى بلد الهند في تجارة، فلما بلغنا أوائل بلاد الهند وصلنا إلى ضيعة من ضياع الهند فعرج أهل القفل نحو الضيعة ونزلوا بها وضج أهل القافلة فسألناهم عن الشأن فقالوا هذه ضيعة الشيخ رتن اسمه بالهندية وعربه الناس وسموه بالمعمر لكونه عمر عمرا خارجا عن العادة فلما نزلنا خارج الضيعة رأينا بفنائها شجرة عظيمة تظل خلقًا عظيمًا وتحتها جمع عظيم من أهل الضيعة فتبادر الكل نحو الشجرة ونحن معهم فلما رآنا أهل الضيعة سلمنا عليهم وسلموا علينا ورأينا زنبيلًا كبيرًا معلقا في بعض أغصان الشجرة فسألنا عن ذاك فقالوا هذا الزنبيل فيه الشيخ رتن الذي رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) مرتين ودعا له بطول العمر ست مرات فسألنا جميع أهل الضيعة أن ينزل الشيخ ونسمع كلامه وكيف رأى النبي ﷺ وما يروي عنه فتقدم شيخ من أهل الضيعة إلى الزنبيل وكان ببكرة فأنزله فإذا هو مملوء بالقطن والشيخ في وسط القطن ففتح رأس الزنبيل وإذا الشيخ فيه كالفرخ فحسر عن وجهه ووضع فمه على أذنه وقال يا جداه هؤلاء قوم قد قدموا من خراسان وفيهم شرفاء أولاد النبي ﷺ وقد سألوا أن تحدثهم كيف رأيت رسول الله ﷺ وماذا قال لك؟ فعند ذلك تنفس الشيخ وتكلم بصوت كصوت النحل بالفارسية ونحن نسمع ونفهم كلامه فقال سافرت مع أبي وأنا شاب من هذه البلاد إلى الحجاز في تجارة فلما بلغنا بعض أودية مكة وكان المطر قد ملأ الأودية بالسيل فرأيت غلاما أسمر اللون مليح الكون حسن الشمائل وهو يرعى إبلا في تلك الأودية وقد حال السيل بينه وبين إبله وهو

يخشى من خوض السيل لقوته فعلمت حاله فأتيت إليه وحملته وخضت السيل إلى عند إبله من غير معرفة سابقة فلما وضعته عند إبله نظر إلي وقال لي بالعربية بارك الله في عمرك بارك الله في عمرك بارك الله في عمرك فتركته ومضيت إلى سبيلي إلى أن دخلنا مكة وقضينا ما كنا أتينا له من أمر التجارة وعدنا إلى الوطن فلما تطاولت المدة على ذلك كنا جلوسا في فناء ضيعتنا هذه ليلة مقمرة ورأينا ليلة البدر والبدر في كبد السماء إذ نظرنا إليه وقد انشق نصفين فغرب نصف في المشرق ونصف في المغرب إلى أن التقيا في وسط السماء كما كان أول مرة فعجبنا من ذلك غاية العجب ولم نعرف لذلك سببا وسألنا الركبان عن خبر ذلك وسببه فأخبرونا أن رجلا هاشميا ظهر بمكة وادعى أنه رسول من الله إلى كافة العالم وأن أهل مكة سألوه معجزة كمعجزة سائر الأنبياء وأنهم اقترحوا عليه أن يأمر القمر فينشق في السماء ويغرب نصفه في الغرب ونصفه في الشرق ثم يعود إلى ما كان عليه ففعل لهم ذلك بقدرة الله تعالى فلما سمعنا ذلك من السفار اشتقت أن أرى المذكور فتجهزت في تجارة وسافرت إلى أن دخلت مكة وسألت عن الرجل الموصوف فدلوني على موضعه فأتيت إلى منزله واستأذنت عليه فأذن لي ودخلت عليه فوجدته جالسا في صدر المنزل والأنوار تتلألأ في وجهه وقد استنارت محاسنه وتغيرت صفاته التي كنت أعهدها في السفرة الأولى فلم أعرفه فلما سلمت عليه نظر إلي وتبسم وعرفني وقال: وعليك السلام ادن مني وكان بين يديه طبق فيه رطب وحوله جماعة من أصحابه كالنجوم يعظمونه ويبجلونه فتوقفت لهيبته فقال ثانيا ادن مني وكُلْ، الموافقة من المروءة والمنافقة من الزندقة فتقدمت وجلست وأكلت معهم الرطب وصار يناولني الرطب بيده المباركة إلى أن ناولني ست رطبات من سوى ما أكلت بيدي ثم نظر إلي وتبسم وقال لي: ألم تعرفني؟! قلت: كأني، غير أني ما أتحقق فقال: ألم تحملني في عام كذا وجاوزت بي السبيل حين حال السيل

بيني وبين إبلي فعند ذلك عرفته بالعلامة وقلت له بلى والله يا صبيح الوجه فقال لي: امدد إلي يدك فمددت يدي اليمنى إليه فصافحني بيده اليمنى وقال لي: قل أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فقلت ذلك كما علمني فسر بذلك وقال لي عند خروجي من عنده بارك الله في عمرك بارك الله في عمرك بارك الله في عمرك فودعته وأنا مستبشر بلقائه وبالإسلام فاستجاب الله دعاء نبيه (صلى الله عليه وسلم) وبارك في عمري بكل دعوة مائة سنة وهذا عمري اليوم نيف وست مائة سنة لسنة ازداد في عمري بكل دعوة مائة سنة وجميع من في هذه الضيعة العظيمة أولاد أولاد أولادي وفتح الله علي وعليهم بكل خير وبكل نعمة ببركة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انتهى»[١].

وروى ابن حجة نحوها عن القاضي نور الدين عن جده الحسين بن محمد[٢].

وقد نقل الشيخ النوري هذه القصة عن «السيد الفاضل المتبحّر الجليل السيد عليخان المدني في كتاب (سلوة الغريب وأسوة الأريب) عن الجزء الثامن لتذكرة صلاح الدين الصفدي»[٣].

ثم نقل عن الصفدي بعد أن ذكر هذه الحكاية: «قد رأيت بعض من توقّف في حديث هذا المعمّر وأدخل الشك فيه بطول عمره بهذا المقدار وتردّد في صدقه. ثم ذكر أنّ سبب شكّه من التجربة وكلام الطبيعيين وسوف يأتي بعد ذلك.. وقال: بقاء رتن هذا العمر الذي حكي عنه معجزة لرسول الله ﷺ. وأن رسول الله ﷺ دعا لجماعة من أصحابه بكثرة الولد وطول العمر..»[٤].

(١) الوافي بالوفيات، ج١٤، ص٧٠.
(٢) الإصابة، ج٢، ص٤٤١.
(٣) النجم الثاقب، ج٢، ص٣٦٢.
(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦٥.

٢ ـ مؤشرات كذب الرجل

وقد حدث بابا رتن بعشرات الأحاديث عن رسول الله ﷺ، أنهاها بعضهم إلى أربعين[١] وروى بعضهم عنه «نحوًا من ثلاث مائة حديث»[٢]، وقد اتهم بوضعها موسى بن محلى بخوارزم سنة (٦٦٥) قال الذهبي: «فأظن أنّ هذه الخرافات من وضع موسى.. ولو نسبت هذه الأخبار إلى بعض السلف لكان ينبغي أن ينزه عنها فضلا عن سيد البشر»[٣]، والدلائل والمؤشرات على كذب الرجل كثيرة، منها:

أولًا: أين كان هذا الرجل في ستة قرون، ولم يعرف عنه أحدٌ شيئًا ولا ذكره ذاكر في عداد الصحابة ولا التابعين، مع أن دواعي ذكره متوفرة كيف وهو معجزة حقيقية؟! نقل عن الذهبي: «وينبغي أن تعلموا همم الناس ودواعيهم متوفرة على نقل الاخبار العجيبة فأين كان هذا الهندي مطمورا في هذه الستمائة سنة أما كان الأطراف يتسامعون به وبطول عمره فيرحلون إليه في زمن المنصور والمهدي أما كان متولي الهند يتحف به المأمون.. ثم قال الذهبي ثم مع هذا تتطاول عليه الأعمار ويكر عليه الليل والنهار إلى عام ستمائة ولا ينطق بوجوده تاريخ ولا جوال ولا سفار فمثل هذا لا يكفي في قبول دعواه خبر واحد إذ لو كان لتسامع بشأنه كل تاجر ولو كان الذي زعم أنه رآه لم ينقل عنه شيئًا من هذه الأحاديث لكان الأمر أخف»[٤].

ثانيًا: إن أحاديثه تدلّ على كذبه، إذ كيف تسنى لهذا الشخص الهندي مع أنه التقى ـ كما هو ظاهر القصة ـ برسول الله ﷺ لقاءً سريعًا وعابرًا أن يروي عنه ﷺ عشرات الروايات وقد عرفت أن بعضهم أنهاها إلى ثلاثمائة!

---

(١) نقله ابن حجر في لسان الميزان، ج٢، ص٤٥٠، عن الذهبي في كتابه: كسر وثن بابا رتن.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الإصابة، ج٢، ص٤٣٨.

ثم لماذا ينفرد بنقل هذه الأخبار بحيث إنّ معظمها مما لم يروه أحد من الصحابة؟! ويزيد في الطين بلة غرابة بعضها، من قبيل حديث زفاف السيدة فاطمة عليها السلام وما حصل فيه من غناء ورقص وطرب!! قال رتن: «كنت في زفاف فاطمة على علي في جماعة من الصحابة، وكان ثم من يغني فطارت [فطربت] قلوبنا ورقصنا فلما كان الغد سألنا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ليلتنا فأخبرناه فلم ينكر علينا ودعا لنا وقال: اخشوشنوا وامشوا حفاة تروا الله جهرة»[١]. ومما يؤشر إلى كذبه أنه صلى الله عليه وآله في سفرته الثانية يتحدث صريحًا أنه دخل مكة والتقى النبي صلى الله عليه وآله فيها وتبارك به ثم قفل راجعًا، وكيف ينسجم هذا مع ما ينقله من أنّه حضر عرس السيدة فاطمة عليها السلام، مع أنّ من المعلوم إنها زفت إلى علي عليه السلام في المدينة المنورة!

ثالثًا: «وسئل الحافظ السيوطي عن مثل هذا الحديث.. هل هو صحيح أم كذب وافتراء لا تجوز روايته؟ فأجاب: بأنه باطل وأنّ معمرا هذا كذاب دجال، لأنه ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وآله قال قبل موته بشهر: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإنّ على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحدٌ»[٢]، وقد قال أهل الحديث وغيرهم: إنّ من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته (صلى الله عليه وسلم) فهو كذاب، ومعلوم أن آخر الصحابة مطلقا موتًا أبو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة، ثبت ذلك في صحيح مسلم، واتفق عليه العلماء فمن ادعى الصحبة بعد أبي الطفيل فهو كذاب»[٣].

والحديث المذكور عن رسول الله صلى الله عليه وآله لو صحّ لكان دليلًا على إبطال

---

(١) لسان الميزان، ج٢، ص٤٥١.

(٢) الحديث مروي في الصحاح، انظر: صحيح البخاري، ج١، ص٣٧، وصحيح مسلم، ج١٨٧، وغير ذلك.

(٣) السيرة الحلبية، ج١، ص٤٩٥.

قصة المعمر المغربي أيضًا، لأنه كان مولودًا في زمانه ﷺ، فالمفروض أن لا يعيش أكثر من مائة سنة، مع أنه بقي إلى ما بعد ذلك بكثير.

ولكن هذا الحديث قد اعترض عليه بمخالفته للمعلوم والثابت في النصوص الدينية من أنّ بعض بني الإنسان قد بقوا أحياء إلى ما بعد ذلك العام، ومنهم السيد المسيح، ومنهم الخضر، قال بعض العلماء معترضًا على الحديث المذكور: «كيف حسن هؤلاء القوم مثل هذا الحديث من عبد الله ابن عمر، وكيف استجازوا روايته، ومن المعلوم عندهم أنّ الخضر وغيره من الذين شهدت أخبارهم بأنهم عمروا من ذلك الوقت أكثر من مائة سنة!»[١].

في المقابل، فإنّ بعض العلماء[٢] قد عدّوا هذا الحديث نفسه دليلًا على موت الخضر قبل ذلك التاريخ.

وردّه عليهم القرطبي بأنّ الحديث ليس ناظرًا إلى مثل الخضر ولا شامل له، «بل هو قابل للتخصيص. فكما لم يتناول عيسى عليه السلام، فإنه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القرآن ومعناه، ولا يتناول الدجال مع أنه حي بدليل حديث الجساسة، فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام وليس مشاهدًا للناس، ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضا، فمثل هذا العموم لا يتناوله. وقد قيل: إن أصحاب الكهف أحياء ويحجون مع عيسى عليه الصلاة والسلام»[٣].

٣ ـ موقف العلماء من حديث بابا رتن

ولعله بسبب ما ذكرناه أو غير ذلك من الوجوه، ذهب غالبية علماء

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص٢٠٨.

(٢) تفسير البغوي، ج٣، ص١٧٨، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج٣، ص٥٣٧، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، ج١، ص١٠١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص٤٢.

المسلمين إلى تكذيب هذا المعمر الهندي وعدم التعويل على ما روي عنه من أخبار:

أ ـ علماء السنة الذين نفوا وجوده أو كذبوه

يعدّ الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، من أبرز علماء السنة الذين كذبوا هذه القصة، فقد ألّف كتابًا خاصًا في تكذيبه، أسماه «كسر وثن بابا رتن». وردد تكذيبه في العديد من مؤلفاته، قال في كتاب المغني في الضعفاء: «رتن الهندي أظنه لا وجود له بل هو اسم موضوع لأخبار مكذوبة أو هو شيطان تبدى لهم في صورة إنسي زعم في حدود سنة ستمائة أنه صحب النبي (صلى الله عليه وسلم) فافتضح بتلك الأحاديث الموضوعة وبكل حال إبليس أسن منه»[١].

وقال: «رتن الهندي، شيخ كبير من أبناء التسعين. تجرأ على الله، وزعم بقلة حياء أنه من الصحابة، وأنه ابن ست مئة سنة وخمسين سنة، فراج أمره على من لا يدري. وقد أفردته في جزء، وهتكت باطله. بلغني أنه توفي في حدود سنة اثنتين وثلاثين وست مئة، وأن ابنه محمودًا بقي إلى سنة تسع وسبع مئة، فما أكثر الكذب وأروجه!»[٢].

وقال: «رتن الهندي. وما أدراك ما رتن! شيخ دجال بلا ريب، ظهر بعد الستمائة فادعى الصحبة، والصحابة لا يكذبون. وهذا جريء على الله ورسوله، وقد ألفت في أمره جزءا.وقد قيل: إنه مات سنة اثنتين وثلاثين وستمائة. ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه جملة كبيرة من أسمج الكذب والمحال»[٣].

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي: «رتن الهندي، الذي ادعى في المئة

(١) المغني في الضعفاء، ج١، ص٣٥٠.
(٢) سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٣٦٧.
(٣) ميزان الاعتدال، ج٢، ص٤٥.

السابعة أنه أدرك الصحبة، فمقته الناس، وكذبوه.قلت: هو رتن شاهون بن جكندريق الهندي البترندي، ادعى الصحبة في سنة خمس وخمسين وست مئة، فلم يرج أمره إلّا على جاهلٍ لا عقل له»[١].

وكذبه أيضًا برهان الدين الحلبي (٨٤١هـ) في الكشف الحثيث[٢].

وقال الفيروزآبادي صاحب القاموس (٨١٧هـ): «ليس بصحابي وإنما هو كذاب ظهر بالهند بعد الستمائة فادعى الصحبة وصدق وروى أحاديث سمعناها من أصحاب أصحابه»[٣].

وأما ما نقله الشيخ النوري عن التذكرة للصفدي من تأكيد هذه القصة وأنها معجزة لرسول الله ﷺ وأنه لا يشكك فيها إلّا الطبيعيون، فهو صحيح وقد أشار إليه ابن حجر[٤]، والفتني[٥]، والكتاني[٦]، ولكنّ الصفدي في كتاب آخر وهو الوافي بالوفيات[٧]، بعد نقل القصة أورد كلام شيخه الذهبي والذي يقول فيه: «من صدق بهذه الأعجوبة وآمن ببقاء رتن، فما لنا فيه طبٌ، فليعلم أنني أول من كذب بذلك، وأنني عاجزٌ منقطعٌ معه في المناظرة. وما أبعد أن يكون جنيٌ تبدى بأرض الهند، وادعى ما ادعى، فصدقوه، لأن هذا شيخٌ مفترٍ كذابٌ كذب كذبةً ضخمةً لكي تنصلح خابية

(١) توضيح المشتبه، ج٤، ص١٣٤.
(٢) الكشف الحثيث، ص١١٦.
(٣) القاموس المحيط، ج٤، ص٢٢٦.
(٤) لسان الميزان، ج٢، ص٤٥٤، وأضاف ابن حجر قائلا: «ورد عليه القاضي برهان الدين بن جماعة فيما قرأت بخطه في حاشية التذكرة بأن المعول في ذلك انما هو النقل وليس كلما يجوزه العقل يستلزم الوقوع».
(٥) يقول الفتني: «ثم قوّى الصفدي قصته وأنكر على من ينكرها، ومعوله فيه الإمكان العقلي، وردّ عليه بأنّ المعول فيه النقل لا الإمكان»، تذكرة الموضوعات، ١٠٥.
(٦) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، ٢، ص٤٢.
(٧) الوافي بالوفيات، ج١٤، ص٧٠.

الضياع وأتى بفضيحةٍ كبيرةٍ، فوالذي يُحلف به إنّ رتن لكذابٌ قاتله الله أنى يؤفك. وقد أفردت جزءًا فيه أخبار هذا الضال وسميته: كسر وثن رتن»[١]. ولم يعلق ـ أي الصفدي ـ على هذا الكلام بما يشعر بقبول كلام شيخه.

ب ـ علماء الشيعة الذين كذبوا القصّة

وأما بالنسبة لعلماء الشيعة فقد كذب الحديث غير واحدٍ:

وعلى رأسهم الشيخ البهائي، قال: «وقد ظهر في الهند بعد الستمائة من الهجرة شخص اسمه بابا رتن ادّعى انّه من أصحاب رسول الله ﷺ وأنّه عمّر إلى ذلك الوقت، وصدّقه جماعة، واختلق أحاديث كثيرة زعم أنّه سمعها من النبي ﷺ. قال صاحب القاموس سمعنا تلك الأحاديث من أصحاب أصحابه وقد صنف الذهبي كتابًا في تبيين كذب ذلك اللعين سمّاه كسر وثن بابا رتن»[٢].

ومن العلماء الذين كذبوا القصة الشيخ أحمد عبد الرضا قال: «وقد ظهر في الهند بعد الستمائة من الهجرة شخص اسمه «بابا رُتَّن» ادّعى أنّه من أصحاب رسول الله ﷺ وأنّه عمّر إلى ذلك الوقت، وصدّقه جماعة، واختلق أحاديث كثيرة، زعم أنّه سمعها من النبيّ ﷺ»[٣]. قال الشيخ النوري: «الظاهر من ذلك أنّه ـ من أمثاله ـ لو لم يكن مطمئنًا لما نقل مثل هذا الخبر العجيب بحسب السند»[٤].

وممن اتهمه بالكذب الشيخ الأميني في الغدير[٥].

---

(١) تاريخ الإسلام، ج٤٦، ص٩٩.

(٢) الأربعون حديثًا، ص٢٩٨، طبعة جامعة المدرسين.

(٣) فائق المقال في الحديث والرجال، ص٤٥، المقنعة النفيسة والمقنية النفيسة، مدرج في كتاب: رسائل في دراية الحديث، ج٢، ص٦٣.

(٤) النجم الثاقب، ج٢، ص٣٦٧.

(٥) الغدير، ج٥، ص٢٣٠.

هذا ولكنّ المولى المازندراني بعد نقل كلام الشيخ البهائي المتقدم قال: «وقد رأيت خطّ العلّامة الحلّي الذي كتبه بيده في الرابع والعشرين من شهر رجب من سنة سبع عشرة وسبعمائة: رويت عن مولانا شرف الملّة والدين إسحاق بن محمود اليماني القاضي عن خاله مولانا عماد الدين محمّد بن محمّد بن فتحان القمّي عن صدر الدين الساوي قال: دخلت على الشيخ بابا رتن وقد سقط حاجباه على عينيه فرفعا عنهما فنظر إليَّ وقال: ترى عينين طالما نظرتا إلى وجه رسول الله ﷺ وقد سمعته يوم الخندق وكان يحمل على ظهره التراب ﷺ وهو يقول: «اللّهم إنّي أسألك عيشة سوية وميتة نقيّة ومردًّا غير مخز ولا فاضح»[١].

أقول: لا ندري الوجه في نقل العلامة لهذا الكلام، وروايته عن هذا الطريق لا يدل بوجه على ثقته بالأشخاص الذين وقعوا فيه.

هذا وقد كنت عازمًا على إكمال البحث حول شخصية بابا رتن، ولكني لاحظت وجود دراسة جيدة بشأنه للشيخ جويا جهانبخش، وهي منشورة، فيمكن الرجوع إليها[٢].

(١) شرح أصول الكافي، ج٢، ص٣١٢.

(٢) نشرت على قسمين في مجلة نصوص معاصرة، العدد ٤٧ والعدد ٤٨.

الملحق (٣)
ادعاء البابية والسفارة والمهدوية والرؤية[١]

- ادعاءات متعددة
- ظاهرة قديمة جديدة
- سلبيات الظاهرة
- الخلفيات والدوافع
- في المواجهة
- دعوى الرؤية

لا يخفى أنّ ثمّة ظاهرة مثيرة للاهتمام ومريبة منتشرة في الأوساط الإسلامية ولا سيما الشيعية منها، إنها ظاهرة ادعاء المهدوية أو السفارة والنيابة عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، أو الاتصال به بشكل أو بآخر، وهذه الظاهرة توجب الكثير من الإرباك في وسط الجماعة المؤمنة، وقد ترتب عليها الكثير من المفاسد والسلبيات، ولهذا رأينا أن من المهم إيلاءها أهميّة وعناية بالنظر والدرس والمتابعة، لنتعرف على أسبابها وتاريخها وكيفية معالجتها.

---

(١) ما جاء في هذا المحور هو في الأصل محاضرة ألقيت على طلاب المعهد الشرعي الإسلامي في بيروت، بتاريخ ١٢ شعبان ١٤٣٦هـ.

١ ـ ادعاءات متعددة

ومن الواضح أنّ ادعاءات التواصل مع المهدي المنتظر والغائب عن الأنظار وذي المشروع العالمي التغييري، هي ادعاءات مغرية وجذابة في الوقت عينه، فهي مغرية للكثيرين من أهل المطامع والمصالح ممن يعملون على التلبيس على الناس وخداعهم وتضليلهم بادعائهم تارة أنّهم يتواصلون مع الجن، وأخرى أنهم يعلمون علم الجفر، وثالثة أنّ لهم طريقًا إلى المهدي أو حظوة عنده، أو ما إلى ذلك من مزاعم تجعلهم مطلعين على المغيبات، وأما كونها ادعاءات جذابة، فلأنها تتصل بقضية غيبية وحساسة ترتبط بعالم النهايات وهو عالم يتطلع ويتشوف إليه الإنسان بطبيعته، ولا سيما المؤمن بالفكرة المهدوية، الأمر الذي يفسّر سرّ هذا الانخداع من قبل الكثيرين من البسطاء.

إنّ دعاوى ومزاعم التواصل مع المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف اتخذت أشكالًا مختلفة ومتعددة، وهذه أهمها:

أولًا: دعوى السفارة والنيابة أو الوكالة، بحيث يزعم الشخص أنّه سفير أو وكيل عن الإمام عليه السلام أو باب إليه، ومأمور بنقل توجيهات الإمام إلى الأمة.

ثانيًا: دعوى النسب والمصاهرة، وهذا ما لاحظناه مؤخرًا حيث ادعى بعضهم أنّه ابن الإمام المهدي عجل الله له الفرج، أو أنّ الإمام عليه السلام متزوج بأخته.

ثالثًا: دعوى أنّ الشخص هو أحد الشخصيات التي لها دور في حركة المهدي عليه السلام أو في التمهيد له، كدعوى البعض أنّه اليماني، أو شعيب بن صالح، وهذا لعله أمر جديد. وفي زماننا نجد أن أكثر من شخص يدعي أو يدعى له أنه اليماني.

رابعًا: دعوى المهدوية نفسها. وفي الغالب فإنّ دعوى الوكالة والنيابة تجرّ إلى ادعاء المهدوية، وربما ترقى إلى ادعاء النبوّة، يقول الشيخ

الطوسي: «وكل هؤلاء المدعين إنّما يكون كذبهم أولًا على الإمام عليه السلام وأنهم وكلاؤه، فيدعون الضعفة بهذا القول إلى موالاتهم، ثم يترقى الأمر بهم إلى قول الحلاجية، كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائهم..»[١].

خامسًا: وهناك شكل خامس من أشكال التواصل المدعاة، وهو دعوى الرؤية أو الاجتماع واللقاء بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ولو بشكل عابر، وهذا الشكل من التواصل ثمّة من يعتقد ليس بإمكانه فحسب بل وبوقوعه للبعض من الخاصة، وسنعود إليه لاحقًا.

٢ ـ ظاهرة قديمة جديدة

وهذه الظاهرة ليست جديدة ولا من مبتكرات هذا العصر، بل إنها قديمة جدًا، فقد ادعى الكثيرون في الزمن الغابر أنّهم سفراء الإمام عليه السلام أو نوابه، إن بالنسبة للإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف أو بالنسبة لمن سبقه من الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وقد عقد الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة بابًا خاصًا لذكر المذمومين من مدعي السفارة والنيابة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

ولذا فادعاء الاتصال ـ بشكل أو بآخر ـ مع الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ليس بالجديد، ولكن الجديد في الأمر هو أنّ وسائل الإعلام في أيامنا تستغل الحدث وتعمل على نشره، بل إنّ هؤلاء المدعين أنفسهم أخذوا يستغلون وسائل التواصل لنشر دعوتهم.

قال الشيخ الطوسي: «ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية والسفارة كذبًا وافتراءً لعنهم الله» ثم عددهم، وأوّلهم المعروف بالشريعي[٢]... ومنهم

---

(١) الغيبة للطوسي، ص٣٩٧.

(٢) قال الشيخ الطوسي: «أخبرنا جماعة، عن أبي محمد التلعكبري، عن أبي علي محمد بن همام قال: كان الشريعي يكنى بأبي محمد، قال هارون: وأظن اسمه كان الحسن، وكان من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ثم الحسن بن علي بعده عليهما السلام، وهو أول من ادعى مقامًا لم يجعله الله فيه، ولم يكن أهلا له، وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام، ونسب=

محمد بن نصير النميري[١]..

=إليهم ما لا يليق بهم وما هم منه براء، فلعنته الشيعة وتبرأت منه، وخرج توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه. قال هارون: ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد» الغيبة، ص٣٩٧. قال الكشي: «قال نصر بن الصباح: موسى السواق له أصحاب علياوية يقعون في السيد محمد رسول الله، وعلي بن حسكة الحوار قمي كان أستاذ القاسم الشعراني اليقطيني، وابن بابا ومحمد بن موسى الشريقي كانا من تلامذة علي بن حسكة، ملعونون لعنهم الله» اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٠٦.

(١) قال أبو عمرو الكشي: «وقالت فرقة بنبوة محمد بن نصير النميري، وذلك أنه ادعى أنه نبي رسول، وأن علي بن محمد العسكري عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية ويقول: بإباحة المحارم، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضًا في أدبارهم، ويقول أنه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وأن الله لم يحرم شيئًا من ذلك. وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده، وذكر أنه رأى بعض الناس محمد بن نصير عيانا، وغلام له على ظهره، وأنه عاتبه على ذلك، فقال: ان هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر، وافترق الناس فيه وبعده فرقا» اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٠٥. قال الشيخ: «قال ابن نوح: أخبرنا أبو نصر هبة الله بن محمد قال: كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام فلما توفي أبو محمد ادعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان وادعى (له) البابية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الالحاد والجهل، ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له، وتبريه منه، واحتجابه عنه، وادعى ذلك الأمر بعد الشريعي، قال أبو طالب الأنباري لما ظهر محمد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر رضي الله عنه وتبرأ منه، فبلغه ذلك، فقصد أبا جعفر رضي الله عنه ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه، فلم يأذن له وحجبه ورده خائبًا». وقال سعد بن عبد الله: «كان محمد بن نصير النميري يدعي أنه رسول نبي وأن علي بن محمد عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضا في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والاخبات والتذلل في المفعول به، وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لا يحرم شيئًا من ذلك. وكان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات يقوي أسبابه ويعضده. أخبرني بذلك عن محمد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان، أنه رآه عيانا وغلام له على ظهره قال: فلقيته فعاتبته على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات، وهو من التواضع لله وترك التجبر..»، الغيبة للشيخ الطوسي ص٣٩٨ ـ ٣٩٩. ومحمد بن نصير كان من أتباع أحد رموز خط الغلو وهو=

ومنهم أحمد بن هلال الكرخي[١].. ومنهم: أبو طاهر محمد بن علي بن بلال[٢].. ومنهم الحسين بن منصور الحلاج[٣].. ومنهم ابن أبي العزاقر

=المعروف بالشريعي، الفرق بين الفرق، للبغدادي، ص٢٢٧. والشريعي بدوره كان من تلامذة غال آخر وهو علي بن حسكة، قال الكشي نقلًا عن نصر بن الصباح: «وابن بابا ومحمد بن موسى الشريقي (الشريعي) كانا من تلامذة علي بن حسكة، ملعونون لعنهم الله»، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٦٠٨.

(١) قال الشيخ الطوسي: «روى محمد بن يعقوب قال: خرج إلى العمري في توقيع طويل اختصرناه: «ونحن نبرأ إلى الله تعالى من ابن هلال لا رحمه الله، وممن لا يبرأ منه، فأعلم الإسحاقي وأهل بلده مما أعلمناك من حال هذا الفاجر، وجميع من كان سألك ويسألك عنه»، الغيبة، ص٣٥٣.وقال: «أحمد بن هلال العبرتائي، وعبرتاء قرية بنواحي بلد إسكاف، وهو من بني جنيد، ولد سنة ثمانين ومائة، ومات سنة سبع وستين ومائتين، وكان غاليا متهما في دينه، وقد روى أكثر أصول أصحابنا» الفهرست، ص٨٣. وقال في كتاب التهذيب: «مشهور بالغلو واللعنة، وما يختص بروايته لا نعمل عليه» تهذيب الأحكام، ج٩، ص٢٠٤.. وقال في الاستبصار: «ضعيف فاسد المذهب لا يلتفت إلى حديثه فيما يختص بنقله» الاستبصار، ج٣، ص٢٨.

(٢) قال الشيخ: «وقصته معروفة فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري نضر الله وجهه، وتمسكه (أي ابن بلال) بالأموال التي كانت عنده للإمام، وامتناعه من تسليمها، وادعائه أنه الوكيل حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان عليه السلام ما هو معروف»، الغيبة ص٤٠٠.

(٣) قال الشيخ: أخبرنا الحسين بن إبراهيم، عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح، عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قال: «لما أراد الله تعالى أن يكشف أمر الحلاج ويظهر فضيحته ويخزيه، وقع له أن أبا سهل إسماعيل بن علي النوبختي (رض) ممن تجوز عليه مخرقته وتتم عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه وظن أن أبا سهل كغيره من الضعفاء في هذا الامر بفرط جهله، وقدر أن يستجره إليه فيتمخرق (به) ويتسوف بانقياده على غيره، فيستتب له ما قصد إليه من الحيلة والبهرجة على الضعفة، لقدر أبي سهل في أنفس الناس ومحله من العلم والأدب أيضا عندهم، ويقول له في مراسلته إياه: إني وكيل صاحب الزمان عليه السلام ـ وبهذا أولا كان يستجر الجهال ثم يعلو منه إلى غيره ـ وقد أمرت بمراسلتك وإظهار ما تريده من النصرة لك لتقوي نفسك، ولا ترتاب بهذا الامر. فأرسل إليه أبو سهل رضي الله عنه يقول له: إني أسألك أمرا يسيرا يخف مثله عليك في جنب ما ظهر على يديك من الدلائل والبراهين، وهو أني رجل أحب الجواري وأصبو=

الشلمغاني[١]، ثم ذكر أبا بكر البغدادي وأبا دلف الكاتب»[٢].

ولا نريد البت في انحراف كل هذه الشخصيات، فالأمر في بعضها قد يحتاج إلى التدقيق.

=إليهن، ولي منهن عدة أتحظاهن والشيب يبعدني عنهن [ويبغضني إليهن]، وأحتاج أن أخضبه في كل جمعة، وأتحمل منه مشقة شديدة لاستر عنهن ذلك، وإلّا انكشف أمري عندهن، فصار القرب بعدًا والوصال هجرًا، وأريد أن تغنيني عن الخضاب وتكفيني مؤنته، وتجعل لحيتي سوداء، فإني طوع يديك، وصائر إليك، وقائل بقولك، وداع إلى مذهبك، مع ما لي في ذلك من البصيرة ولك من المعونة. فلما سمع ذلك الحلاج من قوله وجوابه علم أنه قد أخطأ في مراسلته وجهل في الخروج إليه بمذهبه، وأمسك عنه ولم يرد إليه جوابًا، ولم يرسل إليه رسولًا، وصيره أبو سهل رضي الله عنه أحدوثة وضحكة ويطنز به عند كل أحد، وشهر أمره عند الصغير والكبير، وكان هذا الفعل سببًا لكشف أمره وتنفير الجماعة عنه» الغيبة، ص٤٠١.

(١) قال النجاشي: «المعروف بابن أبي العزاقر، كان متقدمًا في أصحابنا، فحمله الحسد لأبي القاسم الحسين بن روح على ترك المذهب والدخول في المذاهب الرديئة (الردية)، حتى خرجت فيه توقيعات، فأخذه السلطان وقتله وصلبه» رجال النجاشي، ص٣٧٨. وقال الشيخ الطوسي: «محمد بن علي الشلمغاني، يعرف بابن أبي العزاقر، غال» رجال الطوسي، ص٤٤٨. وقال في الفهرست: «كان مستقيم الطريقة، ثم تغير وظهرت منه مقالات منكرة، إلى أن اخذه السلطان، فقتله وصلبه ببغداد.» الفهرست، ص٢٢٤. وقد صدر فيه توقيع بذمه ولعنه. فعن أبي علي محمد ابن همام: «أن محمد بن علي الشلمغاني لم يكن قط بابا إلى أبي القاسم، ولا طريقا له، ولا نصبه أبو القاسم لشيء من ذلك على وجه ولا سبب، ومن قال بذلك فقد أبطل، وإنما كان فقيها من فقهائنا، وخلط وظهر عنه ما ظهر، وانتشر الكفر والالحاد عنه، فخرج فيه التوقيع على يد أبي القاسم بلعنه والبراءة ممن تابعه وشايعه، وقال بقوله» الغيبة، ص٤٠٨. وقال الشيخ في آخر ما ذكره: «وأخذ أبو علي هذا التوقيع ولم يدع أحدًا من الشيوخ إلّا وأقرأه إياه، وكوتب من بعد منهم بنسخة في ساير الأمصار، فاشتهر ذلك في الطائفة، فاجتمعت على لعنه والبراءة منه»، إلى أن قال الشيخ» «قال هارون: وأخذ أبو علي هذا التوقيع ولم يدع أحدًا من الشيوخ إلّا وأقرأه إياه، وكوتب من بعد منهم بنسخته في ساير الأمصار، فاشتهر ذلك في الطائفة فاجتمعت على لعنه والبراءة منه»، الغيبة، ص٤١١.

(٢) الغيبة للطوسي، ص٣٩٨ ـ ٤١٢.

إنّ هؤلاء كانوا أشخاصًا ذوي تأثير كبير، وأكثرهم كان له أتباع، وكان معظمهم من العلماء والعباد والصلحاء[١] في بداية أمرهم، ومع ذلك حصل ما حصل وادعوا السفارة في زمن الغيبة الصغرى، وهو زمان امتحان شديد مرّ به أتباع أهل البيت عليهم السلام لأنّهم لم يكونوا معتادين على ظاهرة الغيبة، ولذا كثر الدجالون ومدعو السفارة في تلك الحقبة.

أمّا بعد حصول الغيبة الكبرى فلم تتوقف هذه الظاهرة بل توالت الادعاءات. وقد أحصى السيد المرعشي النجفي رحمه الله في بعض رسائله جمعًا من مدعي النيابة، فبلغوا ما يزيد على عشرين شخصًا، وفي زماننا هذا شاهدنا بعضهم وسمعنا عن عشرات الأشخاص من مدعي التواصل مع المهدي بشكل أو بآخر.

---

(١) أحمد بن هلال الكرخي العبرتائي وتسميه بعض الأخبار بالصوفي المتصنع. انظر: كمال الدين وتمام النعمة، ص٤٨٩، ويذكر الكشي: أنه عليه السلام كتب إلى قوامه بالعراق: «احذروا الصوفي المتصنع، قال: ورد على القاسم بن العلاء نسخة ما خرج من لعن ابن هلال وكان ابتداء ذلك، وكان من شأن أحمد بن هلال أنه قد كان حج أربعا وخمسين حجة، عشرون منها على قدميه»، رجال الكشي، ج٢، ص٨١٦. وأما محمد بن علي بن بلال وهو من أصحاب العسكري وكان ذا منزلة عظيمة لدرجة أن يراجعه ويستفتيه أبو القاسم الحسين بن روح حال استقامته، وقال الحسين بن روح: اختلف أصحابنا في التفويض وغيره فمضيت إلى أبي طاهر بن بلال في أيام استقامته فعرفته الخلاف، فقال: أخرني، فأخرته أيامًا فعدت إليه، فأخرج إلي حديثًا بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام... الغيبة: للشيخ، الحديث ٣٨، في السفراء الممدوحين في زمان الغيبة. يقول السيد الخوئي: «ويظهر من هذه الرواية، أنه كان من الجلالة والعظمة بمرتبة كان يراجعه أبو القاسم الحسين بن روح»، معجم رجال الحديث، ج١٧، ص٣٣٣. وأما الشلمغاني فهو» محمد بن علي الشلمغاني أبو جعفر المعروف بابن أبي العزاقر، كان متقدما في أصحابنا، فحمله الحسد لأبي القاسم الحسين بن روح على ترك المذهب والدخول في المذاهب الرديئة (الردية)، حتى خرجت فيه توقيعات، فأخذه السلطان وقتله وصلبه. وله كتب، منها: كتاب التكليف..» رجال النجاشي، ص٣٧٨. وكتابه هذا هو من الكتب «التي عملها في حال الاستقامة» كما قال الشيخ الطوسي، وأضاف: «أخبرنا به جماعة، عن أبي جعفر ابن بابويه، عن أبيه عنه، الا حديثًا واحدًا منه في باب الشهادات، انه يجوز للرجل ان يشهد لأخيه إذا كان له شاهد واحد من غيره» انظر: الفهرست، ص٢٢٤.

٣ ـ سلبيات الظاهرة

وهذه الظاهرة ـ بطبيعة الحال ـ لها سلبيات خطيرة، ومن أبرزها:

أولًا: إنّها تمثّل مادة خصبة لمنكري العقيدة المهدوية لاستغلال هذه الادعاءات في سعيهم ومحاولاتهم لتشويه صورة العقيدة المهدوية وصورة المعتقدين بها، فهذا الاستغلال لاسم المهدي عجل الله فرجه وتوظيفه بهذه الطريقة الرخيصة يدفع أولئك إلى تسخيف العقيدة المهدوية نفسها. وقد لاحظنا كيف تعمل بعض وسائل الإعلام المغرضة أو التي تهدف إلى الإثارة واجتذاب المشاهدين إلى الترويج لهؤلاء ونشر مزاعمهم وبث آرائهم، ناهيك عن أنّ الفرصة قد أصبحت متاحة لهؤلاء لنشر أفكارهم والترويج لها عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ثانيًا: إنّ هذه الادعاءات الكاذبة تخلق الكثير من الإرباك في أوساط المؤمنين وتثير الكثير من الشكوك في نفوس الجماعة المؤمنة، وربما يصل الأمر إلى حد انخداع بعض المؤمنين وابتعادهم عن العقيدة السوية، ولا سيما مع دخول عوامل أخرى ومنها العوامل الاستخباراتية، كما سيأتي.

ثالثًا: زرع بذرة الشقاق في الأمة، وفي الحد الأدنى فإنّ هذه المزاعم غالبًا ما ينتج عنها انقسامات حادة في المجتمع الموالي لأهل البيت عليهم السلام، الأمر الذي يسمح بتسلل الجهات المغرضة أو المعادية وإشغاله بهموم جانبية.

ولهذا لا تجوز الاستهانة بهذه الظاهرة أو الاستخفاف بها، لأنّ الإهمال قد يؤدي إلى التأسيس لحركات هدامة وخطيرة، ألم تبدأ الحركة البهائية بدعوى البابية، ثم ترقت الأمور ووصلت إلى ما وصلت إليه؟!

٤ ـ الخلفيات والدوافع

ومن المهم في دراسة هذه الظاهرة أن نقف عند خلفياتها ودوافعها، فإنّ ذلك يسهل عمليّة احتوائها ويساعد على مواجهتها والتعامل معها. وما نقدر

أنّها الأسباب والعوامل الأساسية وراء هذه الظاهرة ـ وذلك بحسب تتبعنا لتاريخها ـ هي الأمور التالية:

الأول: السعي الواعي والمقصود إلى تخريب الدين وإرباك الساحة الإيمانية وإضعاف الجماعة المؤمنة بإثارة القلاقل في أوساطها من خلال هذا الخداع والتضليل، وهذا ما يفسر لنا أنّ أحد مدعي السفارة وهو أبو دلف الكاتب ـ مثلًا ـ كان ملحدًا، ومن ثم أظهر الغلو، كما يذكر بعض علمائنا الأجلاء ممن عاصره[١]. وإنّ بعض البابيّة قد هدفوا أيضًا بادعائهم ذلك إلى تخريب الدين، فقد روى الشيخ الطوسي عن سعد بن عبد الله النميري أنّ أحد البابية، كان «يدعي أنه رسول نبي وأن علي بن محمد عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضًا في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والاخبات والتذلل في المفعول به، وأنه من الفاعل إحدى الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لا يحرم شيئًا من ذلك»[٢].

الثاني: السذاجة والجهل المركب، فإنّ بعض الأشخاص قد يكونون من أصحاب النوايا الطيبة في بادىء الأمر ويخيّل إلى أحدهم أنه يتواصل مع الإمام عليه السلام أو أنه اليماني أو ربما المهدي نفسه، فينخرط في هذا الأمر ويدّعي ذلك، وربما انقاد له بعض السذج أو زيّن له بعض الخبثاء وأصحاب الأغراض الخاصة هذا الادعاء وأغروه وشجعوه ما يجعله يتمادى في وهمه ولا يصغي للنصائح والمواعظ ولا يعير بالًا للحجج التي تفنّد مزاعمه وتبطل أوهامه.

الثالث: حبّ الظهور والسلطة، وهذا العامل هو من العوامل الأساسية

(١) الغيبة للطوسي، ص٤١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩٨.

والتي نجدها حاضرة في معظم ادعاءات المهدوية أو السفارة أو التواصل بشكل أو بآخر مع المهدي عجل الله فرجه، وقد حدثتنا بعض الروايات أنّ رجلًا في الزمن الأول أراد أن يكون ذا شأن ويشار إليه بالبنان فأقدم على ادعاء النبوة، ففي الحديث عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: «كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها وطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا إنك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها وطلبتها من حرام فلم تقدر عليها أفلا أدلك على شيء تكثر به دنياك وتكثر به تبعك؟ فقال: بلى فقال: تبتدع دينا وتدعو إليه الناس ففعل فاستجاب له الناس فأطاعوه فأصاب من الدنيا ثم إنه فكر فقال ما صنعت ابتدعت دينا ودعوت الناس إليه وما أرى لي توبة إلّا أن آتي من دعوته فأرده عنه فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول إن الذي دعوتكم إليه باطل وإنما ابتدعته فجعلوا يقولون كذبت هو الحق ولكنك شككت في دينك فرجعت عنه فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتدًا ثم جعلها في عنقه وقال لا أحلها حتى يتوب الله عليّ، فأوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء قل لفلان: وعزتي وجلالي لو دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترد من مات على ما دعوته ويرجع عنه»[1].

الرابع: السعي إلى جني المال، ومن العوامل التي يمكن رصدها وراء هذه الظاهرة، هو استغلال هذا الادعاء في محاولة لجني الأموال وجمعها من خلال استغفال الناس وخداعهم، فإنّ الشخص المدعي عندما يزعم أنه وكيل الإمام عليه السلام فمن الطبيعي وفقًا لما هو المعروف لدى الشيعة الإمامية أنّ الأموال لا بدّ أن تجبى إليه، يذكر الشيخ الطوسي أنّ مدعي البابية أبا طاهر محمد بن علي بن بلال له قصة معروفة في هذا المجال وذلك «فيما جرى بينه وبين أبي جعفر محمد بن عثمان العمري نضر الله وجهه، وتمسكه

(١) علل الشرائع، للصدوق، ص٤٩٣، ومن لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٥٧٣.

(أي ابن بلال) بالأموال التي كانت عنده للإمام، وامتناعه من تسليمها، وادعائه أنه الوكيل حتى تبرأت الجماعة منه ولعنوه، وخرج فيه من صاحب الزمان عليه السلام ما هو معروف»[١].

الخامس: الحسد، وهو عامل نفسي خطير يدفع بعض الناس إلى ادعاءات كاذبة وتلفيق مزاعم واهية، حنقًا وحسدًا منهم لبعض من يُقدِّرون أنّهم أولى منه في تسنّم منصب معيّن من المناصب الدينية أو السياسية أو الإدراية، وهذا السبب نجده حاضرًا في المقام، فبعض الأخاص دفعه الحسد لادعاء النيابة، يقول الشيخ النجاشي: «محمد بن علي (بن) الشلمغاني، أبو جعفر المعروف بابن العزاقر، كان متقدمًا في أصحابنا، فحمله الحسد لأبي القاسم الحسين بن روح على ترك المذهب، والدخول في المذاهب الردية حتى خرجت فيه توقيعات، فأخذه السلطان، وقتله وصلبه»[٢].

ويظهر من بعض الروايات اعتراف الشلمغاني بالخطأ وأن حبّ الدنيا هو الذي أعمى قلبه ودفعه ودفع غيره إلى ادعاء هذه المزاعم، حيث قال فيما روي عنه: «ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الامر إلّا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الامر كما تتهارش الكلاب على الجيف..»[٣].

السادس: وعلينا أن لا نغفل في هذا المقام عاملًا مهمًا وخبيثًا يقف وراء بعض هذه الادعاءات أو أنه يعمل على استغلالها ودعمها، وهذا العامل هو أجهزة الاستخبارات المعادية لأمتنا والتي تعمل على تخريب الساحة الإسلامية، فتدخل على خط هذه المزاعم، كونها تشكل أرضيّة

(١) الغيبة، ص٤٠٠.
(٢) رجال النجاشي، ص٣٧٨.
(٣) معجم رجال الحديث، ج١٨، ص٥٢.

خصبة لإثارة القلاقل والفتن، بما يثلم وحدة الجماعة المؤمنة، وهذا ما حصل مع الحركة البهائية، فقد كان لأصابع أجهزة السفارة الروسية آنذاك دور في حماية رموزها، ثم تحوّل مقرّها الرئيس إلى عكا في فلسطين المحتلة، وأصبحت لاحقًا في رعاية الكيان الصهيوني، وفي الموازاة فقد رعت قوات الاحتلال البريطاني في الهند حركة أخرى في الوسط السني وهي حركة القاديانية. وإنّ أصابع هذه الأجهزة الاستخباريّة باتت لائحة وجلية في دعم بعض الحركات المعاصرة التي تدعي أنها امتداد للمهدوية.

باختصار: إنّ بعض الأشخاص تقصر همته عن نيل المراكز العالية والدرجات العالية في هذه الدنيا بالطرق المألوفة والمعهودة لأنها تحتاج إلى استقامة وبذل الجهد مضافًا إلى توفر كفاءات خاصة، فيلجأ إلى الوسائل التي لا تخلو من خداع وتلبيس، ويستعيض عن عجزه في نيل المعارف والمراتب العلمية باللجوء إلى ادعاءات علم الباطن والتأويل.

٥ ـ في المواجهة

أعتقد أنّه إذا لم يكن بالإمكان إيقاف ظاهرة ادعاءات المهدوية أو البابية أو نحوها بشكل كلي وحاسم، فلا ريب أنّ بإمكاننا واستطاعتنا الحدّ منها وتطويق تأثيراتها السلبية، وذلك:

أولًا: بالعمل الجاد والدؤوب وبشتى الوسائل على فضح التزييف وبيان التدليس وكشف الخداع، فثمة مسؤولية كبيرة لا بدّ أن يتحملها أهل العلم والمعرفة في هذا الصدد وأن لا نتعامل باستخفاف ولا مبالاة بحجة أنّ هذا المدعي للبابية أو نحوها هو شخص تافه أو ساذج فما أكثر ما انخدع الناس بدعوات السفهاء أو السذج وانحرفوا عن الصراط السوي.

ثانيًا: والأمر المهم في المقام هو العمل على تثقيف جمهور المؤمنين على ثقافة الاستعداد للظهور والانشغال بإصلاح النفس وتهذيبها بدل الانشغال والانهماك بعلامات الظهور ورسم خارطة ناجزة لحركة الظهور،

إنّ طريقة مقاربتنا لعلامات الظهور مسألة حساسة ومهمة، فإنّ القراءة الإسقاطية لهذه العلامات على واقعنا، فضلًا عن أنّها لا تخلو من التوقيت المنهي عنه في الروايات وفضلًا عن كونها مجرد إسقاطات ظنيّة لا تمتلك عناصر موضوعية تبعث على الوثوق بها، فإنّها تغري وتغذي ظاهرة ادعاء البابية والسفارة أو التواصل مع الإمام عليه السلام بشكل أو بآخر، وتدفع باتجاه وقوع الكثيرين من البسطاء في هذا الفخ وسرعة تصديقهم لهذه الادعاءات.

٦ ـ دعوى الرؤية

وتبقى لنا كلمة أخيرة حول نوع من أنواع الاتصال بالإمام المهدي (عجل الله فرجه) وهو ادعاء الرؤية، فهذا الادعاء لا يمكن رميه عرض الحائط واتهام أصحابه بالدجل والتضليل أو السذاجة، فقد نسب ذلك إلى كبار العلماء الذين لا يشك أحد في ورعهم وعلمهم وصدقهم، وقد كُتبت في ذلك العديد من المؤلفات والكتب ونُقلت فيها العديد من القصص التي تنصّ على تشرّف هذا العالم أو ذاك المؤمن بلقاء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف والتكلم معه عليه السلام.

ولكنّ دعاوى الرؤية هذه قد اعترضها إشكال، وهو أنّه قد ورد في آخر توقيع صدر عن الإمام الحجة (عجل الله فرجه) قبيل غيبته الكبرى، وسُجِّل فيه بدء هذه الغيبة قوله عليه السلام: «**وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم**»[1]. إنّ تكذيب مدعي الرؤية يرمي إلى وضع

(١) رواه الشيخ الصدوق، قال: وأخبرنا جماعة، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، قال: حدثني أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري ـ قدس الله روحه ـ فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعا نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد=

حدٍ لكل مزاعم ودعاوى التواصل مع المهدي عليه السلام، فضلًا عن دعاوى النيابة والسفارة، ناهيك عن أنّه قد يقال: إنّ دعوى الرؤية إذا كانت بهذه السعة والكثرة والسهولة كما قد يبدو من بعض التخيلات فهذا يجعلها تصطدم مع مبدأ الغيبة نفسها.

ولكن العلماء في مواجهة هذا الإشكال أخذوا بتوجيه الحديث المذكور، وأبرز توجيه طُرح في كلماتهم هو أنّه ناظر إلى ادعاء المشاهدة المتضمنة لدعوى السفارة والنيابة، يقول المجلسي تعليقًا على الحديث المذكور: «لعله محمول على من يدعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة، على مثال السفراء لئلا ينافي الاخبار التي مضت وستأتي فيمن رآه عليه السلام والله يعلم»[١].

وسئل السيد الخوئي: «ما تفسير هذا الحديث «**من ادعى الرؤية فكذبوه**» وهل يختلف تفسيره بالنسبة للغيبة الصغرى والغيبة الكبرى، وهل صحيح أنه ينسب للإمام الحجة؟

فأجاب: «التكذيب راجع إلى من يدعي النيابة عنه عليه السلام نيابة خاصة في الغيبة الكبرى، ولا يكون راجعا إلى من يدعي الرؤية بدون دعوى شيء والله العالم»[٢]. ورأى البعض أنّ قوله عليه السلام: «سيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة..» يشكّل قرينة على أنّ نظر الإمام عليه السلام هو إلى ادعاء السفارة والنيابة، لأنّ التعبير المذكور يوحي بأنّ المدعي ليس من شيعته، وإنما يأتي شيعته، فإن من كان من شيعته لا يمكن أن يدعي دعوى باطلة تستوجب تكذيبه.

=يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية فلا ظهور إلّا بعد إذن الله عز وجل وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورًا وسيأتي شيعتي..»، كمال الدين، ص٥١٦، ورواه الشيخ الطوسي في الغيبة، ص٣٩٥، والطبرسي في الاحتجاج، ج٢، ص٢٩٧.

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٥١.

(٢) صراط النجاة، ج٢، ص٤٤٩، وذكر النوري توجيهات أخرى للحديث، انظر: النجم الثاقب.

هذا ولكن ربما يعترض على التوجيه المذكور للخبر بأنّه إذا أراد أصحاب هذا التوجيه دعوى أنّ الرواية نفسها ظاهرة في تكذيب مدعي السفارة، فهذا مخالف للظاهر، لأنّ المستفاد منها ـ بحسب المتفاهم العرفي ـ هو تكذيب كل من ادعى المشاهدة سواء ترافق مع دعوى النيابة والسفارة أم لا. والتعبير عن المدّعِي بأنّه «سيأتي شيعتي» ليس قرينة على ما ذكر من النظر إلى ادعاء السفارة، أو أنّ المدعي من خارج شيعته. وأمّا إن أريد القول: إنّ الرواية وإن لم تكن ظاهرة في النظر إلى مدعي السفارة، لكن يتحتّم علينا حملها على ذلك، لعلمنا بأنّ بعض ادعاءات الرؤية صادقة وصادرة عمن لا يطعن فيه، فهذا قد يعترض عليه بأنّ صدق هؤلاء الأعلام وورعهم لا يعني مطابقة دعواهم للواقع، فهم قد يتصورون أن هذا الشخص الذي التقوا به في مكان معين أو أرشدهم إلى طريق هدى، أو أنقذهم من معضلة معينة هو الإمام المهدي عليه السلام، ولكنهم ربما كانوا مشتبهين فيما اعتقدوه، فلا ملازمة بين صدقهم في أنفسهم وبين مطابقة كلامهم للواقع، ويؤيد ذلك عدة شواهد منها:

١ ـ أننا نلاحظ أنّ القصص المنقولة تختلف في توصيف من يفترض أنّه الإمام المهدي عليه السلام إن لجهة تحديد عمره التقريبي، أو بيان خصائصه البدنية من الطول والعرض ولون البشرة، وغير ذلك، فلو كانت هذه الدعاوى مطابقة للواقع، فيفترض أن لا تختلف في بيان أوصافه إلى هذا الحد.

٢ ـ أنّ هذه القصص لا يصرح فيها الشخص المرئي بأنه هو المهدي عليه السلام، بل يرجّح الرائي أو يعتقد أنّ من التقاه أو رآه هو المهدي عليه السلام، ولعله خاطئ فيما اعتقده، كما تشهد به بعض قصص وحكايات التشرف بلقائه. وعليه يمكنك القول: إن من ادعى لم يشاهد ومن شاهد لا يدعي.

ولكن قد يقال: إنّ الحديث دعانا إلى تكذيب مدعي الرؤية، فهل نكذّب هؤلاء الأعلام الأجلاء الذين لا مجال للطعن في دينهم وعلمهم؟!

والجواب على ذلك:

أولًا: إنّ تعبير الرواية «وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة»، يوحي بأن المقصود هو التصريح بالمشاهدة وإعلانها، ومن المعلوم أنّ أهل العلم والورع الذين تنسب إليهم دعاوى الرؤية لا يعلنون ذلك، فهم لا يأتون الناس ويدعون أنهم شاهدوا الإمام عليه السلام، وإنما يَنْقل عنهم ذلك الآخرون وينسبونه إليهم.

ثانيًا: إنّ الأمر بتكذيب مدعي الرؤية لا يعني أنّه كاذب، ولا ملازمة بين الأمرين، فمع أنه قد يكون صادقًا فإنّ وظيفتنا هي تكذيبه، وذلك لمصالح شتى، ومن أهمها ما أشرنا إليه من الحؤول دون تفشي ظاهرة ادعاءات البابيّة والسفارة والتلقي عن المهدي عليه السلام، ولكن التكذيب لا يعني أنّه كاذب واقعًا. وهذا له نظائر في الشريعة، فقد أمر الله تعالى بردّ شهادة من يرمي المحصنين والمحصنات بالزنا إنْ لم يأتِ على دعواه بأربعة شهود عدول، بل وحكم بكذبهم، مع أنهم قد يكونون صادقين في الواقع، ولكنهم لم يتمكنوا من إقامة الشهود، قال تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور ـ ١٣]. والحكمة من ردّ شهادتهم والحكم بكذبهم هو حماية المجتمع من آثار نشر الفاحشة في المجتمع.

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الصحيفة السجادية الإمام زين العابدين عليه السلام.

٣ ـ ابن أبي شيبة، إبراهيم بن عثمان الكوفي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، المصنف، تعليق وتحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

٤ ـ ابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، ذم المسكر، دار الراية ـ الرياض، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف.

٥ ـ ابن الأثير، المبارك بن محمد المعروف بـ «ابن الأثير» (ت: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، إسماعيليان ـ بالأوفست عن طبعة بيروت، قم، إيران، الطبعة العاشرة، ١٣٦٤هـ.

٦ ـ ابن حنبل، الإمام أحمد، (ت: ٢٤١هـ)، مسند أحمد، دار صادر، بيروت.

٧ ـ ابن حبان، أبو حاتم محمد (ت ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٣م.

٨ ـ ابن طاووس، رضي الدين علي (ت: ٦٦٤هـ)، سعد السعود، منشورات الرضي، قم، ١٣٦٣هـ.

٩ ـ ابن طاووس، نفسه، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ط١، سنة الطبع ١٣٩٩.

١٠ ـ ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١١ ـ ابن هشام، محمد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ) السيرة النبوية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر سنة ١٣٨٣هـ.

١٢ ـ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

١٣ ـ ابن حجر، نفسه، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة، بيروت لبنان، ١٩٨٦م.
١٤ ـ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر ـ بيروت، ١٩٩٥م.
١٥ ـ ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية، سنة الطبع ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.
١٦ ـ ابن ماكولا (ت: ٤٧٥)، إكمال الكمال، الناشر دار إحياء التراث العربي.
١٧ ـ ابن منصور السمعاني، عبد الكريم بن محمد التميمي (ت: ٥٦٢هـ)، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٨ ـ ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم ـ إيران، ١٤٠٥هـ.
١٩ ـ ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله القيسي الدمشقي (ت: ٨٤٢)، توضيح المشتبه، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط٢، الناشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان، سنة الطبع ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٠ ـ ابن الجوزي، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ)، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
٢١ ـ ابن الجوزي (ت: ٥٩٧)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا/ راجعه وصححه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
٢٢ ـ ابن المغازلي (ت: ٤٨٣هـ)، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، الناشر انتشارات سبط النبي صلى الله عليه وآله، ط١، سنة الطبع ١٤٢٦هـ ـ ١٣٨٤ش.
٢٣ ـ الأصفهاني، الراغب (الحسين بن محمد)، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفواداسن عدنان داوودي، انتشارات ذوي القربى، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.
٢٤ ـ الأمين، حسن (ت: ٢٠٠٢م)، مستدركات أعيان الشيعة، ط١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٩٨٩م.
٢٥ ـ الأمين، السيد محسن (١٢٨٢ ـ ١٣٧١هـ)، رحلات السيد محسن الأمين، دار الغدير، بيروت ـ لبنان.
٢٦ ـ الأميني، الشيخ عبد الحسين (ت: ١٣٩٢هـ)، موسوعة الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٢٧ ـ الأنصاري، مرتضى بن محمد الدزفولي، فرائد الأصول، إعداد لجنة منبثقة عن مؤتمر الشيخ الأنصاري، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٤٢٠هـ.
٢٨ ـ آغا بزرك، الشيخ محمد محسن الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٢٩ ـ الآملي، الشيخ محمد تقي (ت: ١٣٩١هـ)، مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى، مطبعة الفردوسي، إيران، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ.
٣٠ ـ الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المعروف بـ تفسير الآلوسي.
٣١ ـ البابلي، أبو الفضل حافظيان (معاصر)، رسائل في دراية الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ١٣٨٣ش.
٣٢ ـ البحراني، يوسف بن أحمد الدرازي (ت: ١١٨٦هـ)، لؤلؤة البحرين (في الإجازات وتراجم الرجال)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.
٣٣ ـ البحراني، علي (ت: ١٣٤٠)، أنوار البدرين، تحقيق وإشراف وتصحيح: محمد علي محمد رضا الطبسي، سنة الطبع ١٣٧٧هـ.
٣٤ ـ البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨١م.
٣٥ ـ البروجردي، السيد حسين الطبطبائي (ت: ١٣٨٣هـ)، جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية، قم ـ إيران، ١٣٩٩هـ.
٣٦ ـ البروجردي، علي (ت: ١٣١٣هـ)، طرائف المقال، تحقيق السيد مهدي الرجائي، ط١، الناشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة ـ قم المقدسة، سنة الطبع ١٤١٠هـ.
٣٧ ـ البصري، أحمد بن عبد الرضا، فائق المقال في الحديث والرجال، مؤسسة دار الحديث الثقافيّة، تحقيق: غلامحسين قيصريّه ها، الناشر: دار الحديث، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ق/ ١٣٨٠ش.
٣٨ ـ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت: ٤٢٩هـ)، الفَرق بين الفِرق، تحقيق: اعتنى بها وعلق عليها: الشيخ إبراهيم رمضان ـ دار الفتوى، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
٣٩ ـ البغدادي، ابن النجار (ت: ٦٤٣هـ)، ذيل تاريخ بغداد، الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، تحقيق: مصطفى عبد القادر يحيى، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٤٠ ـ البغوي (ت: ٥١٠)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، الناشر دار المعرفة.
٤١ ـ تبريزي، ميرزا موسى (ت: ١٣٠٧هـ)، أوثق الوسائل في شرح الرسائل، الناشر: محمد علي التبريزي الغروي، ١٣٩٧هـ.
٤٢ ـ التستري، الشيخ محمد تقي (ت: ١٤١٥هـ)، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، الطبعة الرابعة، ١٤٣٠هـ.
٤٣ ـ الترمذي، محمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
٤٤ ـ الترمذي، نفسه، الشمائل المحمدية، تحقيق سيد عباس الجليمي، الطبعة الأولى، الناشر مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت، سنة الطبع ١٤١٢هـ.
٤٥ ـ الجزائري، نعمة الله (١٠٥٠هـ)، الأنوار النعمانية، تحقيق: السيد محمد علي القاضي، إيران ـ تبريز.
٤٦ ـ الجزائري، محمد (معاصر)، نابغة فقه وحديث سيد نعمت الله جزائري، ط٢، الناشر مجمع الفكر الإسلامي ـ قم ـ ايران، سنة الطبع محرم الحرام ١٤١٨هـ.
٤٧ ـ الحائري، الشيخ علي اليزدي الحائري (ت: ١٣٣٣هـ)، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، تحقيق: السيد علي عاشور.
٤٨ ـ الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن (١١٠٤هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة المعروف اختصارًا بـ «وسائل الشيعة»، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
٤٩ ـ الحر العاملي، نفسه، أمل الآمل في علماء جبل عامل، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى.
٥٠ ـ الحر العاملي، نفسه، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، تعليق: أبو طالب التجليل التبريزي، قم، تاريخ المقدمة: ١٣٧٨هـ.
٥١ ـ الحر العاملي، نفسه، الجواهر السنية، مكتبة المفيد، قم ـ إيران، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٥٢ ـ الحر العاملي، نفسه، أمل الآمل في علماء جبل عامل، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الأولى.
٥٣ ـ الحلبي، علي بن إبراهيم (ت: ١٠٤٤هـ)، إنسان العيون في سيرة النبي المأمون المعروف بـ السيرة الحلبية، دار المعرفة، بيروت ـ لبان، ١٤٠٠هـ.
٥٤ ـ الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي المعروف بالعلامة الحلي (٦٤٨ ـ

٧٢٦)، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٥٥ ـ الخشن، حسين أحمد، فقه العلاقة مع الآخر المذهبي ـ دراسة في فتاوى القطيعة، دار الانتشار، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.
٥٦ ـ الخشن، نفسه، فقه الشعائر والطقوس، دار الانتشار، الطبعة الأولى، بيروت ـ لبنان، ٢٠٢٠م.
٥٧ ـ الخشن، نفسه، ظواهر ليست من الدين، ظواهر ليست من الدين، المركز الإسلامي الثقافي، الطبعة الأولى، لبنان، ٢٠١١م.
٥٨ ـ الخشن، نفسه، تحت المجهر ـ قراءة نقدية في مفاهيم وسلوكيات ومعتقدات ـ المركز الإسلامي الثقافي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.
٥٩ ـ الخشن، نفسه، الحسين عليه السلام ثائرًا ومصلحًا، منارات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.
٦٠ ـ الخشن، نفسه، عاشوراء ـ قراءة في المفاهيم وأساليب الإحياء، دار الملاك، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٨م.
٦١ ـ الخشن، نفسه، حاكمية القرآن، دار الانتشار، بيروت ـ لبنان، ٢٠٢٠م.
٦٢ ـ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٦٣ ـ الخميني، روح الله الموسوي (١٩٨٩م)، الأربعون حديثًا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ ١٩٩١م.
٦٤ ـ الخميني، نفسه، أنوار الهداية، تحقيق ونشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٣٧٢هـ.ش.
٦٥ ـ الخوانساري، العلامة الميرزا محمّد باقر الموسوي، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، مكتبة إسماعيليان، طهران، ١٣٩٠هـ.
٦٦ ـ الخوئي، السيد أبو قاسم (ت: ١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٦٧ ـ الخوئي، نفسه، صراط النجاة (استفتاءات)، الطبعة الأولى، قم، ١٤١٦هـ.
٦٨ ـ الدميري، كمال الدين (ت: ٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
٦٩ ـ الدويش، أحمد بن عبد الرزاق (معاصر)، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، دار المؤيد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٧٠ ـ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط، تحقيق: علي أبو زيد، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٧١ ـ الذهبي، نفسه، تذكرة الحفاظ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.
٧٢ ـ الذهبي، نفسه، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.
٧٣ ـ الذهبي، نفسه، المغني في الضعفاء، منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٧٤ ـ الراوندي، قطب الدين، الخرائج والجرائح، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي ـ قم، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٧٥ ـ الرعيني، الحطاب (ت: ٩٥٤هـ)، مواهب الجليل، تحقيق وضبطه وخرج آياته وأحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، ط١، الناشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، سنة الطبع ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.
٧٦ ـ الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٧٧ ـ الزيعلي (ت: ٧٦٢هـ)، تخريج الأحاديث والآثار، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد الناشر: دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٧٨ ـ سبط ابن العجمي (ت: ٨٤١هـ)، الكشف الحثيث، ط١، تحقيق وتعليق: صبحى السامرائي، الناشر عالم الكتب / مكتبة النهضة العربية، سنة الطبع ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٧٩ ـ السخاوي، محمد بن عبد الرحمان (٩٠٢هـ)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق، سفيان بن فؤاد با سويدان، ط١، ١٤٣٩هـ، دار الميمنة للنشر والتوزيع، سوريا ـ دمشق.
٨٠ ـ السخاوي، نفسه، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الناشر: دار الجيل ـ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٨١ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، الجامع الصغير، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
٨٢ ـ الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت: ٤٠٦هـ)، نهج البلاغة، تعليق وشرح: الشيخ محمد عبده، دار الذخائر، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٨٣ ـ الشريف الرضي، نفسه، المجازات النبوية، تحقيق: طه محمد الزيني، بصيرتي، قم ـ إيران، لا. ط، لا. ت.

٨٤ ـ الصدر، السيد حسن (١٢٧٢ ـ ١٣٥٤هـ)، تكملة أمل الآمل، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة المرعشي، الطبعة الأولى، قم، ١٤٠٦هـ.
٨٥ ـ الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ١٣٧٩هـ.
٨٦ ـ الصدوق، نفسه، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، لا.ط، لا.ت.
٨٧ ـ الصدوق، نفسه، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، العراق ـ النجف الأشرف، ١٩٦٦م.
٨٨ ـ الصدوق، نفسه، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين ـ قم، ١٤٠٣هـ.
٨٩ ـ الصدوق، نفسه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت لبنان، ١٤٠٤هـ.
٩٠ ـ الصدوق، نفسه، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ١٤٠٥هـ.
٩١ ـ الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ (ت: ٢٩٠هـ)، بصائر الدرجات، تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، الناشر: منشورات الأعلمي ـ طهران، ١٤٠٤هـ/ ١٣٦٢ش.
٩٢ ـ الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٩٣ ـ الطبرسي، نفسه، مكارم الأخلاق، الناشر: منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٩٤ ـ الطبرسي، أحمد بن علي (ت: ٥٦٠هـ)، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان ـ النجف، ١٩٦٦م.
٩٥ ـ الطبرسي، ميرزا حسين النوري (ت: ١٣٢٠هـ)، النجم الثاقب، تحقيق: تقديم وترجمة وتحقيق: السيد ياسين الموسوي، الناشر: أنوار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٩٦ ـ الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٩٧ ـ الطريحي، فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح النجفي (ت: ١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، ترتيب: محمود عادل، الناشر: مكتب نشر الثقافة الإسلامية ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٩٨ ـ الطريحي، نفسه، المنتخب في جمع المراثي والخطب، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان.
٩٩ ـ الطوسي، محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠هـ)، اختيار معرفة الرجال للكشي، (رجال الكشي)، تعليق السيد الميرداماد الاسترابادي، تحقيق، السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ـ إيران، ١٤٠٤هـ.
١٠٠ ـ الطوسي، نفسه، الفهرست، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٠١ ـ الطوسي، نفسه، الأمالي، مؤسسة البعثة، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٤هـ.
١٠٢ ـ الطوسي، نفسه، تهذيب الأحكام، تحقيق: السيد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلامية ـ إيران، ١٣٦٥هـ.
١٠٣ ـ الطوسي، نفسه، الاستبصار في ما اختلف من الأخبار، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٣هـ.ش.
١٠٤ ـ الطوسي، نفسه، الغيبة، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
١٠٥ ـ العجلوني، إسماعيل بن محمد (ت: ١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
١٠٦ ـ العسكري، السيد مرتضى (ت: ١٤٢٨هـ)، عبد الله بن سبأ، الناشر: نشر توحيد، الطبعة: السادسة مصححة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
١٠٧ ـ العسكري، نفسه، السيد مرتضى خمسون ومائة صحابي مختلق، الناشر كلية أصول الدين، ط١، سنة الطبع ١٤٢٦هـ.ق.
١٠٨ ـ الفتني (ت: ٩٨٦هـ)، تذكرة الموضوعات.
١٠٩ ـ الفيروز آبادي (ت: ٨١٧)، القاموس المحيط.
١١٠ ـ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١١١ ـ القاري، ملا علي (ت: ١٠١٤هـ)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى)، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
١١٢ ـ الكراجكي، أبي الفتح محمد بن علي (ت: ٤٤٩هـ)، كنز الفوائد في حل مشكلات القواعد، مكتبة المصطفوي، قم، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ.ش.

١١٣ ـ الكليني، محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، إيران، ١٣٨٨هـ.

١١٤ ـ الكناني، علي بن محمد (ت: ٩٦٣هـ)، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق: السيد عبد الله بن الصديق الغماري ـ عبد الوهاب عبد اللطيف، الناشر: مكتبة القاهرة ـ علي يوسف سليمان، مصر، الطبعة الأولى.

١١٥ ـ المازندراني، الشيخ محمد بن إسماعيل (ت: ١٢١٦هـ)، منتهى المقال في أحوال الرجال، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث ـ قم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١١٦ ـ المازندراني، المولى محمد صالح (ت: ١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي، تعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١١٧ ـ المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

١١٨ ـ المجلسي، نفسه، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩٨ق/ ١٣٥٦ش.

١١٩ ـ مجموعة مؤلفين، الرسائل الأربعة عشر، إعداد وجمع وتحقيق: الشيخ رضا الأستادي، مؤوسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ١٤١٥هـ.

١٢٠ ـ المدني، السيد علي خان (ت: ١١٢٠هـ)، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات بصيرتي، الطبعة الثانية، قم ـ إيران، ١٣٩٧هـ.

١٢١ ـ مرتضى العاملي، جعفر (معاصر)، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ط٢، الناشر دار الحديث للطباعة والنشر ـ قم ـ ايران، سنة الطبع ١٤٢٦هـ ـ ١٣٨٥ش.

١٢٢ ـ المزّي، يوسف (ت: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

١٢٣ ـ النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي (ت: ٤٥٠هـ)، الفهرست المعروف برجال النجاشي، تحقيق: السيد موسى الزنجاني، جماعة المدرسين، ١٤٠٧هـ.

١٢٤ ـ النجمي، محمد صادق (المعاصر)، أضواء على الصحيحين، تحقيق وترجمة: الشيخ يحيى كمالي البحراني، ط١، الناشر مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم، سنة الطبع ١٤١٩.
١٢٥ ـ النراقي، أحمد بن محمد مهدي (ت: ١٢٤٥هـ)، مستند الشيعة في أحكام الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ـ إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ
١٢٦ ـ النسائي، أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ)، السنن، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٣٠م.
١٢٧ ـ النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار الفكر ـ بيروت.
١٢٨ ـ النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان لا.ط.
١٢٩ ـ الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٨م.
١٣٠ ـ الواسطي، علي بن محمد الليثي (القرن السّادس هـ)، عيون الحكم والمواعظ، دار الحديث، قم ـ إيران، ط١، ١٣٧٦هـ.ش.
١٣١ ـ الوحيد البهبهاني، محمد باقر (ت: ١٢٠٥)، حاشية الوافي، ط١، الناشر مؤسسة العلامة المجدد الوحيد البهبهاني ـ قم ـ ايران، سنة الطبع ١٤٢٦هـ.ق.
١٣٢ ـ اليوسفي الغروي، محمد هادي (المعاصر)، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط١، الناشر مجمع الفكر الإسلامي ـ قم، سنة الطبع ١٤١٧ ق.
١٣٣ ـ مجلة: نصوص معاصرة، مركز البحوث المعاصرة في بيروت، رئيس تحرير: الشيخ حيدر حب الله.

الفهرس

مقدمة ٥
١ ـ بين الاستغراق في التراث والقطيعة معه ٥
٢ ـ أهميّة المنهج في نقد التراث ٧
٣ ـ من قصص هذا التراث ١٠
الفصل الأول: الخرافات في دائرة النقد ١٣
أولًا: الخرافة، تعريفها، منشؤها ١٥
١ ـ الخرافة والأسطورة ١٥
٢ ـ كيف تتشكل الخرافة وما هو منشؤها؟ ١٨
الأول: الجهل والسذاجة ١٨
الثاني: النزعة التقديسيّة ١٩
الثالث: الغيبيّة التجريدية ١٩
الرابع: العصبية المنغلقة ٢٠
الخامس: الكيد للدين ٢٠
٣ ـ كيف تتحول الخرافة إلى حقيقة؟ ٢٢
٤ ـ ما هو الحد الفاصل بين الحقيقة والخرافة؟ ٢٤
ثانيًا: الخرافة والدين ٢٧
١ ـ تسلل الخرافيات إلى المجال الديني ٢٧
٢ ـ بين الخرافة والكرامة ٣١
٣ ـ الإسلام ثورة في وجه الخرافات ٣٢
٤ ـ قليل الحق يغني عن كثير الباطل ٣٤
مفارقة غريبة ٣٥

الفصل الثاني: قصة المعمر المغربي وارتباطها بالمعارف الإسلامية ٣٧
أولًا: خلاصة القصة ٣٩
ثانيًا: ارتباط القصة بالمعارف الإسلامية ٤١
الفصل الثالث: القصة كما روتها مصادر الفريقين ٤٥
أولًا: في مصادر الشيعة ٤٧
ثانيًا: في مصادر السنة ٥٧
الفصل الرابع: حول شخصيّة المعمر المغربي ٦١
أولًا: المعمر المغربي وكنيته ٦٣
ثانيًا: هل المعمر المغربي شخصية حقيقية أم وهمية؟ ٦٥
ثالثًا: معمَّر واحد أم معمران مغربيان؟ ٦٩
الفصل الخامس: القصة على مشرحة البحث العلمي ٧١
١ ـ أسانيد القصة في ميزان علم الرجال ٧٣
أولًا: سند الروايات الشيعية ٧٣
ثانيًا: سند الروايات السنية ٧٥
٢ ـ هل يمكن تصديق الرجل والوثوق بقصته؟ ٧٧
السيد الخوئي وجرأة تكذيب الرواية ٨٣
٣ ـ تناقضات القصة وتضارب رواياتها! ٨٥
الفصل السادس: عودة المعمر المغربي إلى الظهور في القرن الحادي عشر! ٩٣
أولًا: إطلالة جديدة للمعمَّر! ٩٥
ثانيًا: وقفات نقدية مع القصة الجديدة ٩٩
إعراض كثير من أقطاب الإجازة عن هذا الطريق ١٠١
الفصل السابع: دراسة في أخبار المعمر المغربي ١٠٣
أولًا: نظرة عامة في الأخبار المروية عنه ١٠٥
١ ـ عدد روايات المعمر ١٠٥
٢ ـ تسرب أخباره إلى كتب الاستدلال الفقهي ١٠٦
ثانيًا: عرض أخباره ١٠٧
أخبار رواها الشيخ الصدوق ١١٤
أخبار أخرى ١١٧
إكمال وتقييم ١١٨

الفصل الثامن: استيلاد معمر آخر هو المعمر المشرقي! ١١٩
أولًا: من هو المعمَّر المشرقي؟ ١٢١
ثانيًا: تفنيد القصة ١٢٥
الفصل التاسع: كيف وثق العلماء بهذه القصة وأمثالها؟ ١٢٩
أولًا: الذهنية الخاصة ١٣١
ثانيًا: قرائن احتمالية ١٣٩
خاتمة ١٤١
الملاحق ١٤٣
الملحق (١): قصة قاضي الجن ١٤٥
١ ـ من هو قاضي الجن؟ ١٤٥
٢ ـ حديث قاضي الجن ١٤٦
الملحق (٢): المعمر الهندي بابا رتن ١٥١
١ ـ قصة بابا رتن كما يرويها ١٥١
٢ ـ مؤشرات كذب الرجل ١٥٥
٣ ـ موقف العلماء من حديث بابا رتن ١٥٧
أ ـ علماء السنة الذين نفوا وجوده أو كذبوه ١٥٧
ب ـ علماء الشيعة الذين كذبوا القصّة ١٥٩
الملحق (٣): ادعاء البابية والسفارة والمهدوية والرؤية ١٦٣
١ ـ ادعاءات متعددة ١٦٤
٢ ـ ظاهرة قديمة جديدة ١٦٥
٣ ـ سلبيات الظاهرة ١٧٠
٤ ـ الخلفيات والدوافع ١٧٠
٥ ـ في المواجهة ١٧٤
٦ ـ دعوى الرؤية ١٧٥
المصادر والمراجع ١٧٩
الفهرس ١٨٩